سلسلة بوابات الجحيم

سيامي

الكتاب: سيامي

المؤلف: محمد عصمت

تصميم الغلاف: عبدالرحمن الصواف

تدقيق لغوي: عبدالله عثمان

رقم الإيداع : 2020/20183

الترقيم الدولي : 978-977-778-244-9

الطبعة الأولى : 2021

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

سلسلة بوابات الجحيم

سيامي

رواية

محمد عصمت

للنشر والتوزيع

دار الكتب المصرية
بطاقة فهرسة أثناء النشر

عصمت، محمد
سيامي: رواية/ محمد عصمت_ الجيزة:
ن للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠
١٢٠ص، ١٣× ٢٠ سم
تدمك: ٩-٣٤٤-٧٧٨-٩٧٧-٩٧٨
١_ القصص العربية
أ_ العنوان
رقم الإيداع: ٢٠١٨٣/٢٠٢٠
التاريخ: ١٠/١١/٢٠٢٠

إهداء...

إلى من ملكت روحي وأسرت قلبي واحتلت كياني

زوجتي العزيزة.. شكرًا على كُل شيء، فبدونك.. أنا لا شيء

قرود بابا الصغار..

بحبكم يا من جعلتم لحياتي معنى.. لا حرمني الله منكم أبدًا.

شكر لا بد منه...

شكر لـ أ/ حسام حسين.. الأب الروحي لي ولكُل كُتاب دار ن

شكر لـ أ/ طارق وافي.. الصديق والأخ الجدع الموجود دائمًا

شكر لـ أ/ باسم الخشن.. كُنت دومًا سند لقيته لمَّا احتجته.

تمهيد

كانا مُتطابقين، حتى ليظنهما الرائي شخصًا واحدًا لولا أن أحدهما تظهر على مُحياه ملامح الغضب العارم وهو يرتعِد غير قادر على السيطرة على نفسه، بينما يتراجَع الآخر أمامه بخوف وهو يرفع يديه أمامه في استسلام وعلامات الذعر تبدو على وجهه.

ورغم أنهما توأم مُتطابَق، إلا أنهما لم يكونا يومًا من أعاجيب الحياة أو مما يلفت نظر أي شخص، على عكس العديد والعديد من التوائم المُتطابقة في كُل مكان حول العالم، لكن هذا طبيعي.. حين يزداد الشيء عن حده، يفقد بريقه.

الغاضب كان يتقدَّم بخطوات سريعة وهو يرتجِف من شدة الغضب، بينما الخائف كان يتراجَع بخطواتٍ بطيئة وكأنه غير مُصدِّق أن توأمه يُهدِّده بهذه الطريقة، رفع يديه عاليًا وهو يقول بصوتٍ مُرتجِف: عليك أن تهدأ قليلًا. صرخ الغاضِب في ثورة: أهدأ؟ كيف تريدني أن أهدأ بعد الذي فعلته؟. تراجِع الخائِف خطوة أخرى وهو يقول: هناك سوء فهم، يجب أن تهدأ وتسمعني. ابتسم الغاضِب بسُخرية وهو يقول: يجب أن تهدأ أنت قليلًا، أنت توأمي، أكثر من يعرفني في هذه الدنيا، اهدأ قليلًا من فضلك لأنك تعرف جيدًا أنني طالما اتخذت قرارًا، فلن أتوقَّف حتى أنفِّذه. صرخ الخائِف وهو يرتعِد: عليك أن تتحدَّث معها، ستؤكِّد لك أن الأمر ليس صحيحًا. ارتسمَت علامات الاشمئزاز على وجهه بعدما أتى توأمه على ذكرها

قبـل أن يقـول: المـوتى لا يتحدَّثـون. اتسـعت عينـا الخائِـف وهـو يرتعِـد مُـردِّدًا كلـمات توأمـه التـي لم يُصدِقهـا: المـوتى؟ هـل.. هـل قتلتهـا؟. ابتسـم الغاضـب بسُـخرية مـرة أخـرى وهـو يقـول: سـتعرِف إجابـة هـذا السـؤال بعـد قليـل. شـعر الخائِـف بالحائـط مـن خلفـه، عَـرِف أن هـذه هـي نهايـة رحلتـه في التراجُـع للخلـف، وأن عليـه الآن أن يرتجِـل أي شيء يسـاعده في الاحتفـاظ بحياتـه، فكَّـر سريعًـا وهـو يُراقِـب شـقيقه يقـتربِ منـه، يُمسِـك بـين يديـه سـاطورا، هـذه الدمـاء الجافـة التـي تسـكُن نصـل السـاطور هـي دماؤهـا؟ أم أنهـا دمـاء شيء آخـر؟ أو.. أو تـراه شـخصًا ثالثًـا؟

فكِّـر.. فكِّـر.. هكـذا أمـر نفسـه همسًـا كيـلا يفقـد تركيـزه أمـام النصـل الحـاد الـذي يقـترِب منـه أو بسـبب الابتسـامة السـاخرة بسـاطور تقطيـع اللحـم الضخـم، هـل تلـك الدمـاء التـي تُغطـي وجـه أخيـه اللعـين، أو بسـبب الجنـون الـذي يرقـص رقصـة حقـد في عينيـه..

« هـل تتذكَّـر عمتـك رئيفـة؟. ارتبـك الغاضِـب وهـو يعقـد حاجبيـه، لم يفهَـم مـا شـأن عمتـه رئيفـة - رحمهـا اللـه - بالمُشـكلة التـي يواجهونهـا الآن والتـي تسـبَّب فيهـا توأمـه، لكـن ربمـا كانـت خطـة مـن خططـه لتشـتيته وإخراجـه مـن تركيـزه، لطالمـا كان شـقيقه هـو التـوأم الـذكي، بينـما عَـرِف هـو منـذ البدايـة أنـه ليـس ذكيًـا فلجـأ للعُنـف.

اتخـذّ قـراره ألا يسـمح لشـقيقه بمُمارسـة ألاعيبـه الذكيـة عليـه، صرخ بـه بغضـب: لا أريـد أن أتذكرهـا. بحـث الخائِـف عـن مـكان يهـرب إليـه بعيـدًا عـن بطـش توأمـه الغاضِـب، لكـن الأمـر كان صعبًـا، كان حبيسًـا ركن غرفـة بابهـا أبعـد إليـه مـن هـدوء توأمـه، قـال بتوتُّـر: لطالمـا قالـت عمتـك رئيفـة أننـا روحًـا واحـدةً في جسـدين، وأن لـكُل منـا نصـف روح، ولهـذا علينـا أن نظـل معًـا طـوال الوقـت، قالهـا وهـو يتقـدم خطـوة للأمـام فـاردًا صـدره، كان يعـرف أنهـا مُجازفـة وأنـه بهـذا الوضـع يسـمَح لأخيـه بضربـه

ضربـة قاتلـة دون تـردُّد، لكنـه أيضًـا كان يعـرف أن شـقيقه كثـير الـتردُّد لا يتخـذ قـرارًا منـذ الوهلـة الأولى، لـذا قـرَّر أن يتمسَّـك بمُجازفتـه، وكـما توقَّـع، تـردَّد شـقيقه وهـو يقـول: سـأقتلك. الآن، هـل تريـد قتـلي؟ تفضَّـل.

لكنـه وللوهلـة الأولى منـذ دَخَـل إلى بيتـه يبـدو عليـه الـتردُّد قليـلًا، وهـذه فرصـة عظيمـة، وبالطبـع كان الخائِـف أذكى مـن أن يتركهـا تنسـاب مـن بـين يديـه لتضيـع، قـرَّر أن يطـرُق عـلى الحديـد وهـو سـاخِن، قـال بصـوتٍ بـدأت الثقـة تتسـلَّل إليـه: هـل سـتقتلني وتخاطِـر أن تعيـش بنصـف روح؟ هـل تعـرف أي شـخص عـاش بنصـف روح؟. فكَّـر الغاضِـب قليـلًا وهـو ينـزل يـده التـي تحمِـل السـاطور للمـرة الأولى منـذ دخـل إلى المنـزل قائـلًا: أمجـد ابـن الحـاج تُهامـي عـاش بعـد أن قتـل الثـور توأمـه أكـرم، ومـا زال حيًـا يُـرزَق حتـى الآن.

كان الخائِـف يعلـم هـذه جيـدًا، علميًـا، عمليًـا، طبيًـا، منطقيًـا، وبديهيًـا لا مانِـع مـن حيـاة أحـد التوائـم بشـكلٍ طبيعـي بعـد وفـاة توأمـه، لكـن شـقيقه لم يكُـن يعـرف هـذا، لهـذا بـدأ باسـتغلال هـذه الفرصـة وهـو يعلـم يقينًـا أنهـا فرصتـه الأخـيرة إن أراد الحيـاة.

قـال وهـو ينظـر لبـاب الغرفـة ويحسِـب عـدد الخطـوات التـي تفصـل بينـه وبـين هروبـه مـن هـذا المـوت المُحقَّـق الـذي يُحـاصره: لكـن العمـة رئيفـة لم تقُـل يومًـا أن تـوأم التهاميـة يعيشـان بـروح واحـدة.

ابتسـم الغاضـب بسُـخرية وهـو يقـول: أتعـرف.. سـأقوم بتلـك المُجازفـة، أنـا لا أهتـم لحيـاتي الآن رفـع يـده وضربـه بالسـاطور بالقـوة، لكـن توأمـه كان قـد توقَّـع الضربـة، تفاداهـا بخفـة وهـو يدفـع شـقيقه جانبًـا ويُـسرِع نحـو البـاب المُغلَـق، حـاول الغاضِـب أن يسـتعيد توازنـه سريعًـا بعـد أن اسـتند بيـده إلى الأريكـة حمـراء اللـون، لطالمـا كان ذوق

شـقيقه مُريعًـا، ركـض خلفـه متأخـرًا عنـه بعـدة خطـوات، حـاول أن يضربـه بالسـاطور لكنـه مـرق في الهـواء دون أن يمسَّـه، وصـل شـقيقه الخائِـف إلى بـاب الشـقة ونجـح في فتحـه بالفعـل، لكنـه تعطَّـل لبضـع ثـوانٍ قليلـة كانـت كافيـة ليلحَـق بـه الآخـر وهـو يستشـيط غضبًـا بسـبب هـذه المُطـاردة الصغـيرة.

اسـتدار بعـد أن فتـح البـاب وقـد أيقـن اسـتحالة الهـروب، لكـن كان عليـه أن يفكِّـر في اسـتراتيجية أخـرى للهـروب مـن هنـا أو للنجـاة بحياتـه، في حـين أن توأمـه كان قـد اتخـذ قـراره وبـدأ بتنفيـذه غـير عابـئ بـأي شيء آخـر.

تناثـرت قطـرات الدمـاء عـلى وجهـه لتلـوِّث ملابسـه، مسـح الـدم عـن عينيـه وهـو ينظـر لشـقيقه الـذي سـقط أرضًـا بعـد أن تخلَّـت عنـه رأسـه وانفـك ترابطهـا مـع عنقـه بعـد عـدة ضربـات، صحيـح أن الضربـة الأولى كانـت كافيـة لقتلـه، لكنهـا احتاجـت لأخريـات كي يُفصَـل رأسـه عـن عنقه!

عـلى أي حـال، عليـه أن يقطـع الجُثـة الآن لقطـعٍ صغـيرةٍ كي يسـتطيع التخلُّـص منهـا، أمـا ملابسـه فسـيحرقها، مـن حسـن حظـه أنـه وشـقيقه الراحِـل يمتلـكان نفـس المقـاس وذات الـذوق في انتقـاء الملابـس، كـما أنـه لم يتـزوَّج بعـد، كان الأمـر أسـهَل مـما توقَّـع.

جـر الجُثـة بعيـدًا عـن البـاب ليسـتطيع إغلاقـه كيـلا يلاحظـه أحـد الجـيران، رغـم علمـه أن البنايـة خاليـة تمامًـا ولا يسـكُنها أحـد، خلفـت الجُثـة سـيلًا مـن الدمـاء خلفهـا، اللعنـة.. سـيتحتَّم عليـه أن يمسـح كل تلـك الدمـاء، عليـه ألا يـترك دليـلًا واحـدًا يكشـف خطتـه أو مـا فعـل.

تـرك الجُثـة أرضًـا وعـاد للبـاب مـن أجـل أن يغلقـه، وفي اللحظـة

الأخـيرة سـمعها

ميـــــاوو..

ميـاو؟ فتـح البـاب مـرة أخـرى وهـو ينظـر للأسـفل، ورآهـا رغـم الظـلام، قطـة بيضـاء صغـيرة الحجـم تختفـي وسـط الظـلام، بالتأكيـد رأتـه.. بالتأكيـد تعـرف مـا فعلـه.. بالتأكيـد سـتفضَح سره!!

اللعنـة.. الآن عليـه أن يتخلَّـص مـن الجُثتـين ثـم يبحـث عـن تلـك القطـة الصغـيرة اللعينـة قبـل أن تخـبر الجميـع بمـا فعـل وتكشـف سره للقريـة بأكملهـا..

عليه أن يمنعها من الحديث!

الباب الأول

بوابات الجحيم

(1)

كانت غُرفة مُظلمة، ضيقة بعض الشيء، وعلى الرغم من ضيقها إلا أن جنباتها اتسعت لاستقبال خمسة أشخاص يجلسون بجوار بعضهم البعض في شكل دائري، ينظر ثلاثة منهم للاثنين الآخرين بشكٍ وتوترٍ، مال شخص ضخم الجُثة نحو شخص آخر بدين يجلس بجواره وهو يقول: رأفت.. هل أنت مُتأكِّد أنه ساحِر حقيقي وليس نصابًا مثل آخر شخص أحضرته. ضربه رأفت بكوعه وهو يقول: أريدك أن تهدأ قليلًا يا موسى، حتى لو كان نصابًا، فيكفينا شرف المحاولة. كان رأفت يجلس في المُنتصف، بدين بعض الشيء، شعره خفيف، قميصه مليء بالعرق بسبب ارتفاع درجة حرارة الغُرفة قليلًا بسبب الشموع المُضاءة هنا وهناك، يبتسِم بحماس وهو يُراقب الشخصين الموجودين في الجهة الأخرى من الغُرفة.

بينما عن يمينه يجلس موسى أبو المكارم، حليق الرأس، ضخم الجُثة، يظُن دائمًا من يرى موسى للمرة الأولى أنه أحد المُصارعين المُحترفين، يبدو عليه الغضب دائمًا وكأنه يحمِل على كتفيه هم العالم بأكمله، يرتدي قميصًا بلا أكمام ليُبرِز عضلات يديه الضخمتين، يجلس مُنعقِد الحاجبين، كان يشعُر بعدم الرضا وبأنه يقع ضحية لأمرٍ ما لم يكتشفه بعد، لكن الحقيقة أن هذا شعور دائمًا ما يشعُر به طوال الوقت.

عن يسار رأفت تجلس فتاة ضئيلة الحجم بعض الشيء، زينب الراعي، متوسطة الجمال، لا يوجد فيها أي شيء مُميَّز، شعرها ناعم

طويـل، تصفِّفـه عـلى هيئـة ضفـيرة تسـتريح فـوق كتفهـا الأيـسر، ترتـدي فسـتانًا طويـلًا أسـود اللـون مُزيَّـن بـورود حمـراء، تعـض شـفتها السُـفلى في توتُّـر، مالـت نحـو رأفـت وهـي تهمـس لـه بصـوتٍ خافـتٍ: مـاذا يُريـد مـوسى؟. ابتسـم رأفـت وهـو يقـول: يعتقِـد أن الشـيخ كـرم نصَّـاب مثـل الشـيخ إجـلال. عضـت شـفتها السُـفلي بتوتُّـر وهـي تقـول: هـل تظـن أنـه صـادِق؟. ابتسـم وهـو يُراقِـب الشـيخ كـرم المشـغول بتجهيـز بعـض أنـواع البخـور في إنـاء معـدني مـليء بالفحـم، ويُتمتِـم بكلـماتٍ غريبـةٍ لم يسـمعها أيهـم مـن قبـل، عـلى الرغـم مـن اهتمامهـم جميعًـا بالأمـور الغريبـة والماورائيـة، يُحِـب الثلاثـة الرعـب ويعشـقون الغمـوض، قـرأوا العديـد مـن الروايـات وشـاهدوا الكثـير مـن الأفـلام التـي تـدور أحداثهـا جميعًـا في أجـواء مُرعِبـة ومُقبِضـة، لكنهـم لم يشـعروا يومًـا بالخـوف مـن كتـاب قـرأوه أو فيلـم شـاهدوه، بالعكـس.. كثـير مـن هـذه الأشـياء كان يثـير ضحكهـم لتفاهتـه أو سـوء مُعالجتـه للمواقِـف المُرعبـة، لهـذا لجـأوا بعـد كثـير مـن النقـاش لـضرورة اقتحامهـم لهـذا العـالم، حـضروا العديـد مـن جلسـات طـرد الجـن والأرواح الشريـرة، لكـن هـذه الجلسـات لم تُقنعهـم أو تـرضي فضولهـم!

منـذ شـهرٍ أو يزيـد، قـال مـوسي وهـو يعبـث في هاتفـه بعـدم اهتـمام بينـما يُشـاهِد رأفـت وزينـب يتبـادلان أطـراف الحديـث أمـام فيلـم قديـم سـبق وأن شـاهدوه: «أشـعر بالملـل. نظـرت إليـه زينـب وهـي تقـول بدهشـة: أنـت تُحـب هـذا الفيلـم!. قـال وهـو يُلقـي بهاتفـه بجـواره: كُنـت أحبـه في أول مئتـين وخمسـين مـرة شـاهدته فيهـا. سـأله رأفـت وهـو يُمسِـك بجهـاز التحكُّـم: هـل تريـد أن تشـاهِد فيلـمًا آخـرًا؟. قـام مـن مكانـه وهـو يقـول: لا.. سـأخرج لأرى أحـوال العمـل قليـلًا، سـيقتلني الملـل. يجلـس الثلاثـة في غرفـة خاصـة أسسـوها داخـل مطعـم صغـير يتشـاركون إدارتـه سـويًا، عـادةً مـا تحـضِر زينـب في البدايـة، تجلـس مـع

العاملين بالوردية الصباحية لتُتابِع مجريات العمل إلى أن يحضِر رأفت ليتسلَّم منها إدارة المطعم في وردية بعد الظهر، أما موسى فيُدير وردية الليل لأنه كائن ليلي نادرً ما ينام أو يرتاح، لكنهم في بعض الأحيان يحضرون للمطعم ليتشاركوا الوقت في مكتبهم في مشاهدة أحد أفلام الرعب الجديدة أو شيء ما من هذا القبيل.

دخل موسى إلى المكتب بعد قليل وهو يقول بحماس: لماذا لا نُجرِّب؟. شعر رأفت بالحماس وهو يقف ليقول بصوتٍ عالٍ: أنا موافق وبدأ في قراءة سورة الفاتحة، بدأت السلة تهتز بعد قليل، شهق رأفت في خوف بينما كاد موسى أن يترك السلة لولا أن زجره الشيخ إجلال في اللحظة الأخيرة، بدأ الوسيط الروحاني في إطلاق أصوات غريبة وعينيه تنقلبان إلى الأعلى، وأمسك بقلمًا وورقة قديمة كان إجلال قد وضعهما أمامه وبدأ يكتب بلُغةٍ غريبةٍ.

كان إجلال يتولى الترجمة للجميع بعد أن يقرأ ما كتب الوسيط الروحاني، كان يقول أشياء من شأن أي شخص أن يقولها، لا شيء مُميَّز، لكن الطريقة التي يقول بها هذه الأمور كانت طريقة مُخيفة مما أضفى رهبة غريبة على ما ينطق به من تفاهات، لولا أن قال الشيخ إجلال في وسط كلامه أن الوسيط الروحاني يكتب باللغة البرازيلية لأنهم نجحوا في تحضير روح سياسي برازيلي، قال موسى بعصبية شديدة أنهم يتحدَّثون البرتغالية في البرازيل، ونعت الشيخ بالحماقة واتهمه بالنصب، بدأت السلة في الاهتزاز بشدة بين يدي موسى ورأفت، توتَّرت الأجواء والشيخ إجلال يصرخ: أنت أحمق.. لقد أثرت غضبه. شعر موسى بالخوف فألقى السلة لتسقط أرضًا وينكسر قاعها ليظهر منه ماكينة صغيرة تعمل عن بُعد، كان رأفت ذكيًا، وفهِم الأمر مُباشرةً على عكس موسى الذي نظر لها ببلاهة دون أن يفقه

شيئًا مما حدث، وتوارت زينب في ركن الغرفة وهي تكاد تبكي من شدة الخوف والتوتُّر، ابتسم رأفت وهو يضغط زر إضاءة المكتب ويُمسِك بالماكينة قائلًا: لقد رأيت هذا الشيء من قبل، هذه ماكينة اهتزاز، وبكُل تأكيد هي التي كانت تهز السلة.

قبل أن يهدأ وينظر لموسى بخيبة أمل وهو يقول: ماذا سنجرب؟. زفر موسى في ملل وهو يقول: نحن نحب الرعب، أليس كذلك؟. هزَّت زينب رأسها وهي تقول: أنت تعرف هذا جيدًا منذ أن كُنا زملاء في كلية واحدة، وقبل حتى أن نتشارَك في هذا المطعم. ابتسم وهو يقول بحماس: لماذا نكتفي دائمًا بالمُشاهدة والمُطالعة؟ لماذا لا نُجرِّب اقتحام هذا العالم؟ نحن نمتلك من الخبرة ما يكفي. رفع رأفت حاجبيه في دهشة وهو يقول: على الرغم من غرابتها إلا أنها بالفعل فكرة أكثر من رائعة، أنا موافق. تردَّدت زينب وهي تقول: لكن.. لكن هذه العوالم تتطلَّب خبرات لا نملكها، وإن أخطأنا... قاطعها موسى قائلًا: لن نُخطئ، أنا أعرف أحد الشيوخ الموثوق بهم، يُدعى الشيخ إجلال، سنحضره إلى هنا في يوم أجازة المطعم من أجل جلسة تحضير أرواح. شهقت زينب بخوفٍ وهي تقول: تحضير أرواح؟. قبل أن يجيبها موسى، صافحه رأفت بحماس قائلًا: أنا موافق. نظر لزينب وهو يسألها بسُخرية: هل أنتِ موافقة أيتها الجبانة؟ أم أنك - مثل كُل مرة - ستشعرين بالخوف؟. شعرت بالغضب بسبب كلماته الساخرة، وقفت بتحدي وهي تقول: وأنا معكُما أيها الحمقى. لكن الشيخ إجلال كان نصابًا مُمتازًا، حضر إلى المنزل بصُحبة شابٍ صغيرٍ قدمه على أنه وسيط روحاني يعمل معه، وأقام جلسة تحضير أرواح بطريقة السلة وهي أحد أشهر الطُرق التي يستخدمها العديدون في تحضير الأرواح، أحضر الشيخ إجلال سلة قديمة، سلة من السِلال التي عادةً ما تحملها النساء لتتسوَّق في الأسواق الشعبية القديمة، وضع

داخلها قطعتين مُتقاطعتين من الخشب، غطاها بقميصٍ قديمٍ، وفي أعلى هذا القميص رسم صورة لوجه شخص بشري على قطعة من الورق وهو يضعها في أعلى القميص، أشعل عودين من البخور وثبتهما فوق القميص، ثم وضع في مقدمة السلة قلمًا من الرصاص، طلب من رأفت وموسي أن يحملا السلة في مواجهة بعضهما البعض، بهذه الطريقة، لكن لابد لها من مُحفِّز.. ربما يكون زرًا أو جهاز تحكُّم. انطلق موسى نحو الشيخ إجلال سريعًا وهو يُمسِك بتلابيبه آمرًا إياه في غضب أن يخرج جهاز التحكُّم، في البداية حاول الشيخ إجلال أن يحذره من غضبة الأرواح وعقابها لكن لكمة من قبضة موسى إلى أنفه الذي بدأ ينزِف كانت كافية ليولول بصوتٍ حادٍ وهو يبكي ويُقسِم أنه لا يملك أي أجهزة تحكُّم، أما رأفت فوضع الماكينة بمُنتهى الهدوء وهو يتوجَّه نحو الوسيط الروحاني ببطء، نزل على ركبته أمامه وهو يشير له أن يمُد قدمه اليسرى، تردَّد الفتي للحظة لكن أنف إجلال النازِف كان مُقنِعًا له ليمُد قدمه دون نقاش، خلع رأفت حذائه وهو يتحسَّس بيده الحذاء من الداخِل، بعد لحظات ابتسم وهو يضغط على منطقة مُعيَّنة لتهتز الماكينة على المكتب.

قال رأفت مُبتسمًا: لاحظت منذ دخلا إلى هنا الطريقة التي يمشي بها هذا الفتى، يمشي برفقٍ وكأنه يخشى الضغط على شيءٍ ما، كما لفت نظري أنه أحضَر سلته معه، لو أنه صادِق لبحث عن سلة هنا، لكنه يريد سلته المُجهَّزة، لفت نظري كذلك أن الفتي يدق بقدمه أرضًا كلما اهتزَّت السلة، فهمت أن الأمر مُتعلِّق بحذائه، الأمر بسيط لكنه يحتاج للكثير من قوة المُلاحظة. قبل أن يُدافع أيهما عن نفسه سأله موسى: هل تعرف إلا يحتاج الأمر أيضًا؟. سألته زينب وقد بدأت تشعر بالأمان قليلًا: ماذا؟. قال موسى وهو يلكم الشيخ مرة أخرى: يحتاج الكثير من اللكمات.. بعد هذه الحادثة بأسبوعين دخل

رأفت إلى المكتب وهو يقول مُبتسمًا: كرم. قال موسى بسُرعة: أمانة. سأله رأفت مُنعقِد الحاجبين: ماذا تقول؟. ظهرت علامات الإحراج على موسى وهو يقول: ظننت أننا نقول صفات نتمتَّع بها. زفر رأفت في يأس وهو يهز رأسه قليلًا قبل أن يقول: الشيخ كرم.. وجدته. لمعت عينا زينب في فضول وهي تقول: جلسة تحضير أرواح جديدة؟. قال موسى وعلامات عدم الاقتناع تبدو جليةً على وجهه: نصاب جديد. لهذا كان موسى ينظر للشيخ كرم وهو يملأ الإناء المعدني بالفحم والبخور بغير اقتناع، قبل أن ينظر للفتى الذي يجلس بكسل بجوار الشيخ، جلس كلاهما في ناحية، وجلس الأصدقاء الثلاثة في الناحية الأخرى، وبينهما مكتب صغير.

رفع الشيخ كرم عينيه من فوق الإناء للمرة الأولى منذ أن وطأت قدماه أرض المكتب وهو يقول بابتسامةٍ مُخيفةٍ: أنا جاهز!.

(2)

لطالما كان الشيخ كرم شخصًا مهيبًا بين جموع العامة، منذ صِغره وهو يمتلِك هذه الهالة التي تحيط به وتضفي عليه الكثير من الغموض، وللأمانة.. كان كرم ذكيًا، فَهِم الأمر وعرف كيف يحافِظ عليه ويطوِّره، تدرَّب كثيرًا أمام المرآة على تلك النظرة التي تجعل من أمامه يهابه ويخشاه، قلَّل من كلامه للدرجة التي جعلت الجميع يحترمونه، اتخذ من كتب السحر أصحابًا ومن طُرق التحضير أخلاًّ، منذ طفولته وهو يرى أحلامًا تتحقَّق ورؤى تتنفَّذ، منذ صِغره وهو يعرف ما يخفي المرء وما يُبطِن بمُجرَّد نظرة واحدة وكأنه يقرأ الأرواح.

الفترة الأخيرة كانت عصره الذهبي، ذاع صيته وزادت شُهرته، استطاع بفضل الله ونعمته - كما كان يُردِّد دائمًا - أن يكون عونًا للمحتاجين وسندًا للطالبين، استعان بكتاب الله وتعاليمه في مُساعدة من يرجو مُساعدته، لم يطلُب أموالًا أو هدايا عينية مثلما كان يفعل الكثير من الشيوخ، كان يؤجر أقل القليل ويأخذ ما يكفيه لسد احتياجات حياته الأساسية.

وجد متولي نائمًا على بابه ذات يوم، لم يتبادلا أطراف الحديث أبدًا، عَرِف كُل ما أراد معرفته بنظرة واحدة في عيني متولي، اليتيم الهارِب من عذاب زوجة أبيه، كسول كمن لم يعرف للنشاط معنى طوال حياته، ينام وكأنه لديه هدفًا يقتضي النوم لساعاتٍ مُحدَّدة، لكن الفتي كان يتمتَّع بشفافيةً هائلةً، عَرِف كرم أن متولي هنا

لمُساعدته وأن الأقدار قادت الفتي إلى بابه عن عمد، كما عَرِف متولي هذا بمُجرَّد أن رأي باب دار كرم فاضطجع أمامها عالمًا في قرار نفسه أن هذه هي نهاية رحلته، بينما لم تُكلِّف زوجه أبيه - التي قتلت أبيه غمًا وهمًا - نفسها عناء إيجاده ومشقة العثور عليه.

من يومها ومتولي مُلتصِق بكرم، وعلى الرغم من عدد ساعات النوم الطويل التي ينامها متولي والذي قد يصِل في بعض الأحيان لعشرين ساعة يوميًا إلا أنه موجود دائمًا حين يحتاجُه، حتى الآن والشيخ كرم يُعلِن جاهزيته مُبتسمًا لجمهوره الصغير الذي لم يتعد ثلاثة من الشباب الخائِف كان متولي ناعسًا بجواره على مقعده، فتح عينه بكسل ليُطالعهم قبل أن يتثاءب وهو يعتدِل على مقعده وهو ينظر إليهم بطرف عينه كالثعلب.

تنهَّد الشيخ كرم وهو يقول بهدوءٍ وصبرٍ: قبل أن نبدأ يجب أن تعرفوا بعض الأمور الهامة، كي ينجح هذا الأمر وتحدث هذه الجلسة يجب أن نتَّفِق على بعض الأشياء، هل تفهموننى؟. زادت نظرة الشك الكامِنة في عيني موسى، ابتلعت زينب ريقها بصعوبة وهي تحاول السيطرة على قلبها الذي ما طَفَق يدُق بسُرعةٍ جنونيةٍ، بينما قال رأفت بحماس طفل يرى أمامه ألعاب المولد: أجل. قال الشيخ وهو يُلقي ببعض حبات البخور في إناءه ويراها تُطقطق فوق الفحم المُستعِرة جمراته: في البداية، وقبل أي شيء، يجب أن أعرف الهدف من خلف تلك الجلسة، سامحوني

في السؤال.. لكن يجب أن أعرف هذا جيدًا لأنني سأكون المسؤول عن كُل شيء.

تبادل الثلاثة النظرات في قلق قبل أن يتطوَّع رأفت بالإجابة:

الفضـول.. نريـد أن نحـضِر جلسـة تحضـير أرواح حقيقيـة، وقـد سـمعنا عـن براعتـك وأمانتـك وصدقـ... قاطعـه الشـيخ كـرم مُبتسِـمًا وهـو يُخـرج كيسًـا مـن بـين طيـات ملابسـه: لا تحتـاج لمُداهنتـي يـا رأفـت، كيـف حـال والدتـك.. السـيدة عزيـزة. شـهق رأفـت وهـو ينظـر لمـوسى بخـوف مُتمتـمًا: كيـف.. كيـف عرفـت اسـم والـدتي؟. قـال مـوسى دون أن تبـدو عليـه علامـات الانبهـار: يبـدو أن الشـيخ كـرم قـد ذاكـر دروسـه جيـدًا قبـل أن يـأتي إلى هنـا.. أليـس كذلـك يـا شـيخ كـرم؟. تجاهَـل كـرم السُـخرية التـي تُقطِّـر مـن سـؤالِه وهـو يفتـح الكيـس مُتشـمّمًا مـا بداخلـه قبـل أن يقـول: هـذا حقيقـي يـا سـيد مـوسى، هـل يعـرف أصدقائـك لمـاذا يُطلقـون عليـك لقـب أبـو المـكارِم رغـم أنـه ليـس اسـمك؟. نظـر رأفـت إليـه بدهشـة وهـو يـردِّد كلام الشـيخ: ليـس اسـمك الحقيقـي؟.

انعقـد حاجبـا مـوسى بشـدة وقـد أيقـن بشـيئين، أولهـما أن الشـيخ يعـرف جيـدًا أنهـم سـموه أبـو المـكارم لأنـه لطالمـا ردَّد أنـه يمتلِـك بعـض الكرامـات لكنـه فشـل في إثبـات الأمـر طـوال الوقـت، إلا مـن بضـع مواقِـف تـصرَّف فيهـا بطريقـة غريبـة بنـاءً عـلى مُعطيـات شـعر بهـا دون أن يعـرف لهـا سـببًا، والثـاني أن عليـه الآن تفسـير الأمـر لأصدقائـه وكشـف سرًا لطالمـا حـاول إخفـاءه.

قـال مـوسى بغضـب مُمتـزِج ببعـض الخـوف: سـنتحدَّث فيـما بعـد. حـاول رأفـت الاعـتراض وهـو يقـول: لكـن... نظـر لـه مـوسى ونـيران الغضـب تسـتعِر في عينيـه قائـلًا في بـطء: سـنتحدَّث.. فيـما.. بعـد. أخـرج الشـيخ كـرم بعـض المسـحوق أحمـر اللـون الـذي كان موجـودًا داخـل الكيـس ونـثره فـوق الفحـم وهـو يسـأل زينـب: وأنـت يـا زينـب يـا بنـت الراعـي، هـل مـا زال حسـنين الجـمَّال يُطـاردكِ؟. كان ثلاثتهـم يعـرف مـن هـو حسـنين الجـمَّال، لهـذا وقـع السـؤال عليهـم وقـع الصاعقـة، نظـر

الجميع نحو زينب التي بدأت تحمر خجلًا وقد أدركت أنها الآن محوَّر الاهتمام، وأن النظرات تنصب عليها صبًا، لطالما طاردها حسنين منذ أن كانت صغيره، ابن خالتها هو لكنه شخص لزج يتمتَّع بثقل دم غير طبيعي، أنهى دراسته وتعيَّن - بواسطةٍ كبيرةٍ - في أرشيف وزارة الداخلية، مسؤولًا عن تنظيم وترتيب ملفات القضايا في قبو ضخم تحت الأرض في مكان سري، لا يُصاحبه فيه سوى ملفات قضايا قديمة والكثير من الغبار، لكن حسنين وبطريقةٍ ما ظن أن عمله في أرشيف وزارة الداخلية جعل منه لواءً لا تُرَد له كلمة ودائمًا ما كان يتعجَّب رفض زينب له، لأن زينب كانت طوال الوقت تُخفي إعجابًا سريًا بشخص لم تُصرِّح بهويته يومًا.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تشم رائحة طيبة تملأ المكان جراء احتراق المسحوق الأحمر وتقول بكثيرٍ من التلعثم: أجل.. لكنه.. لكنني.. لكن أنا.. لا أطيقه. تثاءب متولي والشيخ كرم يقول لها بابتسامة: أعرف هذا يقينًا. كما عرف الجميع يقينًا أنه لم يكُن مُضطرًا لطرح هذه الأسئلة لأنه يعرف إجاباتها قبل أن يسألها، لكنه أراد أن يثبت لهم مدى تمكُّنه من أدواته، كما أنه أراد أن يذيب جليد الشك الذي سكن روح وقلب موسى الجالس في مواجهته.

صمت قليلًا قبل أن يقول في تحذير: ليس كُل الفضول نافعًا، ولا في كُل السعي خلف المعرفة فائدةً، هل أنتم مُصّرون على المُضي قدمًا؟. هز الجميع رؤوسهم دون أن يقدِر أحدهم على أن ينبُس ببنت شفة، سألهم الشيخ كرم مرةً أخرى: هل قرَّرتُم أي روح ستحضرون؟. تبادلوا النظرات قبل أن يقول رأفت متطوّعًا بالنيابة عن زملائِه: في الحقيقة.. في الحقيقة لم نُقرِّر هذا الأمر، لكن هل بإمكاننا أن نُحضِّر روح أحد القتلة المُتسلسلين أو شيء من هذا القبيل، نريد لهذه الجلسة أن تكون

فريدةً من نوعها. فكَّر الشيخ كرم قليلًا وهو يخرج عبوةً بلاستيكية صغيرة من جيبه ويُخرج منها بضع كراتٍ صغيرة تشممها لوهلة قبل أن يُلقي بها فوق الفحم المُستعِر وهو يقول: عين العفريت، أعتقد أنكم تعرفونها جيدًا. هزوا رؤوسهم قبل أن تطقطق عيون العفاريت وهو يقول في لهجةٍ تحذيريةٍ: يجب أن أحذركم أيضًا من الصراخ أو الصوت العالي أو حتى الحركات المُفاجِئة، خصوصًا أنت يا فتي... قالها وهو يُشير نحو موسى الذي احمرت وجنتيه خجلًا وضيقًا، قبل أن يتوجَّه الشيخ بناظره نحو زينب وهو يُحذرها مُغلفًا تحذيره بابتسامةٍ رقيقةٍ: لا أريدك أن تشعري بالخوف، لأن الخوف والشك وعدم اليقين يضعفون من قدراتي على التحكُّم بالجلسة والسيطرة على الروح، حاولي الهدوء.. فكِّري دومًا في أمور إيجابية ولا تقلقي أو تتوتّري. هزَّت رأسها غير مُتأكِّدة من قدرتها على التعامُل مع هذا الأمر، لكنها لم تملُك سوى الموافقة على كلامه والإنصات لتعليماته، تثاءب متولي مرةً أخرى وهو يُطالعهم كأنه قط صغير يرى مالكيه للمرة الأولى، مسح الشيخ كرم على رأسه وهو يتمتم ببعض كلمات لم يتبينها الجالسين أمامه قبل أن يقول لهم:

« استرخوا، استريحوا، وأهدئوا، لا أريد أن يُحدِّث أحدكُم الروح بطريقةٍ غير لائقة أو بأي ألفاظ نابية أو بأي نوع من أنواع السُخرية، أريدكم أن تتحلوا بالأدب واللياقة وكأنكم في حضرة آبائكم أو أمهاتكم وإلا... لم يكمِل جُملته لكن تحذيره كان واضحًا صريحًا، أكمَل حديثه قائلًا: والآن.. ونحن نجلس في الظلام ننتظر حضور الروح، أريد منكُم أن تسمعوا تحذيري الأهم والأخير.. لا أريد لأيكم تحت أي ظرف من الظروف ولأي سببٍ من الأسباب أن ينطِق أحدكم بحرفٍ واحدٍ عن حياته الشخصية أو عن أي شخص يعرفه. مال موسى نحو رأفت وهو يقول بهدوء: ذكرني أن نتحدَّث عن حسنين في حضور الروح.

ابتسم رأفت ابتسامة لم تدُم سوى للحظات قبل أن يعتدِل وهو يرى الشيخ يمسح على رأس متولى وهو يُتمتِم بمجموعة من الأقسام والدعوات والعزائم بصوتٍ خافتٍ، استمرّ الأمر لبضع دقائق قبل أن يقول بصوتٍ عالٍ: أقسم عليكِ أيتها الروح الهائِمة أن ترفعي يد الوسيط في حالة حضورك. رفع متولي يده للأعلى ببطءٍ شديدٍ وعينيه مُغلقتين، شهقت زينب وهي تضع يدها على فمها لتمنع صرخةً كانت على وشك أن تندلِع، قال الشيخ كرم بلهجةٍ آمرة: أقسمت عليكِ أن تفرقي أصابِع اليد اليُمنى. بحركةٍ شبه آلية فرَّق متولي أصابِع يده اليُمنى أمام الجمع الذي يُشاهده بينما تكاد قلوبهم تتوقَّف هلعًا، بدأ جسد متولي يسترخي بطريقةٍ كانت واضحةً للعيان، أمسك الشيخ كرم بوسادة صغيرة أتى بها معه مُسبقًا، وضعها تحت رأس متولى وساعده على الاضطجاع بهدوء دون أن ينطِق بكلمة، غطى رأسه بقطعة من القماش النظيف وهو ينظر للثلاثة الجالسين أمامه قبل أن يسألهم بهدوء: هل أنتم جاهزين؟. هزوا رؤوسهم بكثيرٍ من التردُّد، قبل أن ينظر الشيخ كرم نحو متولي النائم بجواره وهو يسأل بصوتٍ عالٍ: هل أنت هنا؟. سمعوا من تحت قطعة القماش صوتًا أجشًا صدئًا يقول بلهجة ريفية واضحة: أجل.. هنا. لم يكُن الصوت طبيعيًا أبدًا، وعلى الرغم من اندلاعه من بين شفتي متولي إلا أنه كان يبدو وكأنه قادمًا من جحيم مُستعِر، اصفرّ وجه موسي وتزايدت نظرة الشك التي تلتمِع في عيني موسي، بينما بدأت زينب ترتجِف، نظر نحوهم الشيخ وهو يقول بصرامة: لنبدأ.. وإلا فُتِحَت علينا أبواب الجحيم.

(3)

التوتُّـر يسـود الأجـواء، لا صـوت يعلـو فـوق صـوت دقَّـات القلـوب الوجِلَـة، الأنفـاس تتقطَّـع، الخـوف يـزداد، الأجسـاد تخفـي رَجَفـات تـسري بهـا في محـاولات بائِسـة للتظاهُـر بالشـجاعة، والشـعيرات القصـيرة التـي تمـلأ مؤخِّـرات الأعنـاق تنتصِـب جـراء قشـعريرات خـوف اجتاحَـت الأجسـاد، القلـوب، والأرواح.

متـولي مُسـجى عـلى الأريكـة بجـوار كـرم، ومـن تحـت القميـص الـذي يغطيـه يخـرج صوتًـا يُجمِّـد الدمـاء في عروقهـم، علامـات التوتُّـر تظهـر عـلى الشـيخ كـرم خوفًـا مـن أي رد فعـل غـير محسـوب مـن الحاضريـن تكـون نتيجتـه مـا لا تُحمَـد عُقبـاه.

نظـر إليهـم كـرم وهـو يسـأل الـروح الحـاضرة بثقـةٍ مُغلَّفـة بالخـوف: هـل أنـت ذكـر؟. لحظـات ثقيلـة مـن الصمـت مـرَّت قبـل أن يسـمَع الجميـع الصـوت الأجـش مـن تحـت قطعـة القـماش يقـول بسُـخرية: أجل، ظننـت أنكُـم تعرفـون!. كاد مـوسى ينطِـق بـشيء مـا لـولا أن أشـار لـه الشـيخ بـأن يلتـزِم الصمـت، فأنصَـت لإشـارته دون أن يقتنِـع، قـال كـرم بـأدبٍ جـمٍ: نعلَـم.. لكننـا نُريـد التأكُّـد.

صمتـوا لدقيقـة مـرَّت عليهـم كقـرن مـن الزمـان دون أن يأتيهـم رد مـن تحـت القـماش، تشـجَّع الشـيخ كـرم لطـرح سـؤاله التـالي: هـل أنـت مـصري؟. « أجـل.» هـل يُمكننـا أن نسـأَلَك بضـع أسـئلة؟. « أجـل. « هـل أنـت مـن القاهـرة؟. « لا.» هـل أنـت مـن الإسـكندرية؟. « لا.» هـل أنـت مـن منطقـة الدلتـا؟ أو مُـدن القنـاة؟. « لا.» هـل أنـت مـن الصعيـد؟.

« أجل.» من مدينة من الصعيد؟. « لا.» من إحدى القُرى المُلحَقة بتلك المُدن؟. « أجل.» هل أنت من سوهاج، أسيوط، أو قنا؟. صمت الجميع للحظات طويلة لم يأتيهم فيها رد، تردَّد رأفت للحظة لكنه سُرعان ما حسم أمره وهو يهمس بصوتٍ خافتٍ: لماذا لا يُجيب؟. نظر له الشيخ كرم وهو يهمس: لا يريد الإجابة، علينا أن نعتاد على هذا الأمر، لن يجيبوا على بعض أسألتنا. مرة أخرى بدأ كرم بتوجيه الأسئلة وهو ينظر نحو الفتي المُغطى بالقماش: لماذا أنت هنا؟. أنتم من طلبتم وجودي!. ظهر الحرج على وجه كرم وهو يقول: أعرف هذا.. أقصِد لماذا أنت عالِق؟ لماذا روحَك لا تزال موجودة ها هنا في عالمنا؟. صمت الصوت قليلًا قبل أن يقول: هناك بعض الأشياء التي لابُد أن أفعلها أولًا قبل أن أرحَل من هنا. قرَّر رأفت فجأة ودون أي مُقدِمات أن يتدخَّل في الأمر، سأل الروح فجأة: ما اسمك؟. أجابه الصوت بعد قليلٍ من الصمت: عادِل. بدأ رأفت يشعُر بالشجاعة، قرَّر التمادي في الأمر فسأله مرة أخرى: عادل ماذا؟

هذه المرة لم تأتهم إجابة صريحة وإنما سمع الجميع صوت طرقة عنيفة على المنضدة الموجودة بينهم وبين الشيخ كرم، طرقة اهتزَّت لها المنضدة وارتجفَت لها قلوبهم فزعًا، اتسعت عينا الشيخ كرم وقد سكنها غضب ممتزج بالخوف وهو يضع إبهامه على شفتيه في إشارة فهِم الجميع مغزاها وابتلعوا ألسنتهُم.

أمسك الشيخ كرم بدفة الحوار مرة أخرى وبدأ بالحديث مع الروح، في حالاتٍ عديدةٍ يطلُب الحضور تحضير روح مُعينة، حينها يتحتَّم عليه أن يطلُب منهم جميعًا أن يمسكوا بأيدي بعضهم البعض قبل أن يبدأ بترديد جُملة: عزيزنا فلان، جئنا واحضرنا معنا الهدايا من الحياة إلى الموت، تواصل معنا يا فلان وتنقل بيننا، وعادةً ما

تحضر الروح بسهولة، لكنها في مثل تلك الحالات لا تستطيع أن تُجيب على أي أسئلة سوى بنعم أو لا، وعادةً أيضًا ما تكون نعم تساوي ضربتين أو نقرتين على المنضدة بينما لا تساوي ضربة أو نقرة واحدة، لكنه في هذه الحالة يشعُر أنه عاجِز، لا يعرف شيئًا عن الروح التي أحضرها، يحاول أن يكتشف عنها أي شيء، لكنها لا تسمح له بسبر أغوار المعرفة، ويبدو أن الأمر لن ينتهي على ما يُرام، هكذا يُخبره قلبه.

سأل الروح: هل تريد أن تشاركنا على العمل غير المُنتهي يا سيد عادِل لعل وعسى يستطيع أحدنا أن يُساعدك فيه إنهائه. « لا شأن لكم بالأمر. صاح موسى بغضب: نحن نحاوِل مُساعدتك!. صمتت الروح، لم يجبه الصوت الأجش، عضّ الشيخ على شفته السُفلى وهو يعرف أنه قريب للغاية من أبشع كوابيسه، وأنه إن لم يستطِع إحكام سيطرته على تلك الجلسة، سيكون رد الفعل عنيفًا، بل وأشنَع من كُل كوابيسهم.

نظر للثلاثة القابعين أمامه، ووجه تحذيره لهم جميعًا على الرغم من انكماش زينب وعدم قدرتها على التوقُّف عن الارتعاد قائلًا: إذا تحدَّث أحدكم دون إذن بعد هذه اللحظة، سأنهي الجلسة بأكملها، هل تفهمون؟. هز رأفت رأسه في تفهُّم، بينما عجزت زينب عن الحركة من الأساس، لكن نظرتها أخبرت الشيخ عن موافقتها، بادله موسى نظرات التحدي في عدم رضا قبل أن يسأله الشيخ مرة أخرى: هل فهمت يا موسى؟. هز رأسه بعدم اقتناع وبداخله إحساس أن الأمر كُله عبارة عن عملية نصب ودجل وقعوا ضحيتها بفضل رأفت الأحمق وسذاجته، لكن آثر الصمت والموافقة كيلا يسمَح لكرم باستغلال تلك الفرصة من أجل إفساد الأمر برمته.

ساد الصمت قليلًا قبل أن يقول الشيخ بحذر: هل ما زلت معنا يا سيد عادِل؟. « أجل، أنا هنا. سأله الشيخ بتأدُّب: ألا تريد مُساعدتنا في أي أمر غير مُنتهي؟. « لا. « هل تريد أن تخبرنا بأي قصة أو أي شيء؟. « لا. « هل هناك ما تريد قصَّه علينا؟. « لا. « هل تريد أن ترحَل؟. « لا. انعقد حاجبي الشيخ كرم بشدة وهو ينظر للجالسين أمامه بغير فهم، كرَّر سؤاله مرة أخرى لعل وعسى يستطيع تصحيح الأمور هذه المرة، سأل روح عادل بوضوح: هل تريد أن ترحَل؟. « لا. وكعادته، لم يستمِع موسى ولم يُنصِت سوى لرأسه، سأله بغضب: لماذا لا ترحَل؟ هل أنت قاتِل مُتسلسِل أصلًا؟ لقد طلبنا من هذا الدجَّال تحضير روح قاتِل مُتسلسِل. « أجل. ساد الصمت بعدها على الجميع، هل هو قاتل مُتسلسل فعلًا؟ يا إلهي! على الرغم من أن هذا طلبهم وهذا ما أرادوه لكن قلوبهم كادت تنخلِع بقوة حين سمعوا إجابته، لم يتوقعوا يومًا أن تتحقَّق أحلامهم أمام أعينهم، لكن هل كُل الأحلام يجب أن تتحقَّق؟ أم أن من مصلحة هذا العالم ألا تتحقَق كُل الأحلام والأماني؟

ضرب الشيخ على المنضدة بغضب وهو يسأل الروح: لماذا لا ترحَل؟. لم يعرف حينها أنه بهذه الضربة أثار غضب الروح، كان الصوت هذه المرة صدئًا يأتيهم من سقر وهو يقول: لابد لي من الانتقام منهم، لابد من قتلهم جميعًا كيلا ينكشِف السر. سأله الشيخ بدهشة: من هُم؟ وأي سر؟. أجابه الصوت بغضب شعر منه الحضور أنه على وشك الانفجار: القطط. ضحك موسى بصوتٍ عالٍ مليء بالسُخرية وهو يقول لرأفت: هل رأيت ما أتيت به؟ يقول أنه سيقتل القطط كي لا تكشف سره! وكيف ستكشف القطط سرك أيها المُحتال؟ ستموء به للجميع؟. وجه حديثه الغاضِب نحو الشيخ دون أن يهتم بكبح جماح غضبه صارخًا: وأنت أيها المعتوه، هل ظننت

أن هـذا مُخيـف؟ أمسـكت نفـسي عـدة مـرات كيـلا أنفجِـر ضحـكًا، روايتك مُهلهلـة ومليئـة بالثغـرات أيهـا الأحمـق. حاولـت زينـب أن تُمسـكه لكنـه تملَّـص منهـا وهـو يحـاول الهجـوم عـلى الشـيخ لـولا ضربـة قويـة قسـمت المنضـدة إلى نصفـين دون أن يمسـها أحدهـم، شـحب وجـه مـوسى وكأنـه رأى شـبحًا لتـوه، أيقـن حينهـا أن الأمـر تعـدى قدراتـه هـو شـخصيًا، بـل وربمـا يكـون قـد تعـدى قـدرات الشـيخ كـرم.

لكنـه أدرك الأمـر متأخـرًا، بعـد أن فـات الأوان، شـعر الجميـع بالغُرفـة تهتـز مـن حولهـم قبـل أن يسـمع الجميـع صـوت انفجـار هائِـل عقبَـه أصـوات تهـدُّم وتهشُّـم، غبـار هائِـل تطايـر في الهـواء ليغـشي أبصارهـم، خـشى أشـجعهم أن يتحـرَّك قبـل انقشـاع الغبـار ووضـوح الرؤيـة، لكـن مـا كان في انتظارهـم لم يكُـن يتوقَّعـه أحـد..

تهشَّـم الحائـط المجـاور لهـم عـلى شـكل شـخص، وكأن أحدهـم اخـترق الحائـط هربًـا مـن شيء مـا، لكـن المُخيـف في الأمـر أن أطـراف هذا الشـكل كانـت محترقـة تمامًـا، وكأنـه شـيطان مـن نـار فـر هاربًا..

النظـرة التـي سـكنت عـين الشـيخ كانـت كافيـة لتخبرهـم أن الأمـر جلـل، لملـم الشـيخ أشـيائه سريعًـا وهـو يكشـف قطعـة القـماش عـن وجـه متـولي الـذي تثـاءب في كسـل وهـو يعتـدِل ويتلفَّـت حولـه قبـل أن ينظـر للحائـط بفضـول وهـو يقـول: أظـن أن الأمـر لم يـسِر عـلى مـا يُـرام. وقـف الشـيخ وهـو يُمسِـك بأشـيائه في يـد ويُمسِـك بيـده الأخـرى يـد متـولى الـذي مـا زال يترنَّـح كسـلًا وهـو يقـول: الأمـر بيدكُـم الآن.. لـن أتدخَّـل في هـذا الأمـر ولـو دفعتـم لي مـال قـارون، عليكـم أن تجـدوا تلـك الـروح وتعرفـوا السـبب الـذي جعلهـا عالقـة وتصرفوهـا وإلا... نظـر نحـو الحائـط وهـو يبتلِـع ريقـه بصعوبـة قبـل أن ينظـر إلى مـوسى قائـلًا: وعليـك أن تعـرف يـا هـذا.. أن كُل مـا سـيحدث في رقبتـك أنـت، أنـت المسـؤول عـن كُل شيء، فبسـببك.. فُتِحَـت بوابـات الجحيـم.

(4)

« هـذا الرجـل نصَّـاب، وهـذه هـي وجهـة نظـري التـي لـن أغيِّرهـا أبـدًا مهـما حَـدَث

كانـت هـذه هـي الكلـمات التـي أنهـى مـوسى مُكالمتـه التليفونيـة بعـد أن رحلـوا جميعًـا مـن المطعـم واتجهـوا كُل إلى منزلـه، كان مُعتـاد عـلى الحديـث مـع رأفـت لسـاعاتٍ مُتأخـرةٍ مـن الليـل، والليلـة.. بعدمـا حَـدَث في المطعـم أمـام أعينهـم جميعًـا، كان سـببًا أهـم وأدعـى للحديـث، لكـن مـوسى كعادتـه هـو الآخـر كان عنيـدًا، لا يُغـيِّر رأيـه أو قناعاتـه مهـما حَـدَث، لـذا لم يحـاول رأفـت أبـدًا أن يخـوض معـه نقاشًـا حـادًا، خصوصًـا.. اليـوم بالـذات، ودَّعـه وأنهـى المُكالمـة وهـو يـترك جسـده يهـوي إلى فراشـه، لتسـتقبله المرتبـة الناعمـة وسـط قطنهـا المُريـح، وكأنهـا زوجـة مُخلِصـة تسـتقبِل زوجهـا المُنهَـك بعـد يـوم طويـل في العمـل، تـرك الألم ينسـاب مـن فقـرات ظهـره وعُنقـه وهـو يُغلِـق عينيـه قليـلًا، لـن ينـام.. سـيقوم.. فقـط.. بإراحـة.. عينيـه..

***

كان السـلم مُظلِـمًا، حاولـت أن تضغـط زر الإضـاءة، لكـن لا شيء، لم يُفتَـح المصبـاح ليُبـدِّد الظـلام، هـذه الليلـة كان الظـلام هـو السـيد، والخـوف الـذي بـدأ يتسـلَّل إلى قلبهـا هـو خادمـه المُخلِـص، سـمعت صوت خطـوات خافتـة مـن خلفهـا، وقفـت كي تسـترِق السـمع لكـن الصـوت توقَّـف، حسـنًا.. ربمـا كانـت تتخيَّـل، عليهـا ألا تفقِـد أعصابهـا، لكـن صـوت الخطـوات البطيئـة تكـرَّر، أسرعَـت الخُطـى وأسرعـت الخُطـى الخافتـة مـن

خلفها، تحوَّل الأمر لمُطاردة بلا صوت، كانت تتنفَّس بصعوبة، بسبب الخوف لا بسبب الجُهد المبذول في قفز درجات السلم المُجمَّعة، نظرت خلفها وهي تحاول أن ترى مُطاردها، لكنها لم تكُن تدري أنها بهذا ترتكِب أكثر الأخطاء التي من المُمكِن أن يقوم بها المرء وهو مُطارَد سذاجةً، لأنك لا تفقِد تركيزك فحسب، لكنك تفقِد تسديد خُطاك أيضًا.

وبالطبع حَدَث ما لا تُحمَد عُقباه، أخطأت قدمها درجة السلم الصحيحة فتعثَّرت وسقطت أرضًا، من حُسن حظها أن جسدها لم ينهار وينزلق فوق درجات السلم وإلا لأصيبت بكدمات وجروح فوق قُدرتها على الاحتمال، سمعت صوت الخطوات يقترِب، نظرت في الظلام ورأته.. يقترِب منها، هل.. هل يرتدي قناع قط فوق رأسه؟ أم ترى الخوف قد اتفَق مع الظلام على الإطاحة بعقلها وسلامته؟ اعتدلت وهي تحاول الوقوف، نجحت بعد اضطرارها للاستناد على سور السلم، أمسكت به وهي تعدو للأعلى، الصوت يزداد من خلفها، وصلَت إلى باب شقتها، حاولت أن تُخرِج المفاتيح من حقيبتها، لكن الحقيبة مُزدحِمة، بدأت تُلقي بالأشياء الغير ضرورية بعيدًا وهي تتنفَّس بصعوبة، تستمِع إلى صوت خطواته وهو يقترِب فيزداد توترها، وتأبى مفاتيحها أن تستسلِم وتخرج من مخبأها، بعد جُهد مُضن وجدتها، حاولت أن تجد المُفتاح المُناسِب لكن يديها المليئتين بالعرق تسببتا في سقوط المفاتيح، رأته يقترب وسط الظلام، أمسكت المفاتيح وهي تعرِف جيدًا أن لديها محاولة واحدة فحسب.

كانت يدها ترتعِد بشدة، رغم هذا تمكَّنت من إصابة هدفها في اللحظة الأخيرة، فتحت الباب بصعوبة وهي تُلقي بنفسها داخل الشقة، أغلقت الباب سريعًا وهي تستنِد عليه بظهرها وتنزلق وهي

تنشـج بعُنـف وكأنهـا ركضـت لتوهـا مئـات الكيلومـترات دون توقُّـف، فتحـت عينيهـا بعـد أن سـمعته.. سـمعت صوتًـا غريبًـا مـن داخـل الشـقة، نظـرت أمامهـا ورأتهـم، عـشرات القطـط تقـف أمامهـا وهـي تمـوء بعُنـف، ظهورهـا تلتـوي وشـعرها ينتصِـب، غاضبـة.. وخائفـة، فكَّـرت في فتـح الباب لكنهـا تذكـرت مُطاردهـا الغامِـض، بـدأ قلبهـا يـدُق بعُنـف، هيـئ لهـا أنهـا لم تعُـد تسـمع موائهـم مـن شـدة ضربـات قلبهـا، تقدمـوا إليهـا بخطـوات بطيئـة، تمـوء القطـط ويفـوِّت قلبهـا بعـض الدقـات، يؤلمهـا صدرهـا حـين تسـمَع طرقـات مُطاردهـا عـلى البـاب، تكشـف لهـا القطـط عـن أنيابهـا، تسـمع مُطاردهـا يمـوء مـن خلـف البـاب بصـوتٍ مُرعِـب، القطـط مـن أمامهـا تقـف عـلى اثنتـين، تتحـرك نحوهـا بخطـواتٍ آليـة مُرعِبـة، تـصرُخ.. لكـن صوتهـا يـأبى الاسـتجابة لهـا، ترتجِـف، يـكاد قلبهـا يتوقَّـف هلعًـا وأول القطـط يصـل إليهـا، يبـدأ في خمـش جسـدها بأظافـره الحـادة، تحـاول أن تـصرُخ وتـصرُخ لكـن بـلا جـدوى.. تُطاردهـا القطـط، تقفـز فوقهـا وتخمشـها، تعضهـا، تـأكل قطعًـا مـن جسـدها، لا تعـرف مـاذا تفعـل، كانت أضعـف مـن أن تقـاوم.. كانـت أكـثر خوفًـا مـن أن تُفكِّـر، أغلقـت عينيهـا وصرخت.. هذه المرة كانت صرختها عاليةً تشُق الصمت شقًّا..

شـعر رأفـت بـألمٍ حـادٍ في معدتـه، انقبضـت عضـلات بطنـه بطريقـة غريبـة، شـعور لم يشـعُر بمثلـه مـن قبـل، فتـح عينيـه بصعوبـة، وكأن أطنان مـن الكسـل مُعلَّقـة بجفنيـه، كان مصبـاح غُرفتـه مـضيء، مـما اضطـره لإغـلاق عينيـه قليـلًا لتتكيفـا عـلى الإضـاءة أولًا، شـعور الألم يخـدِش معدتـه مـن الداخِـل، لا يتوقَّـف، حـاول أن يفتـح عينيـه مـرة أخـرى، لكـن هـذه المـرة رآهـا بوضـوح.. خطـوات أقـدام قـط دمويـة تُلـوِّث حوائـط غرفتـه، وكأن هـذا القـط نُقِـع في بركـة مـن الدمـاء قبـل أن يُـترَك هنـا، كيف لم يشـعُر بـه؟ كيـف وصـل القـط إلى السـقف؟

خطـوات الأقـدام مُمتـدَّة عـلى السـقف بانتظـام، وكأن هـذا القـط بإمكانـه أن يسـير عـلى السـقف مُتحديًـا الجاذبيـة، تتبَّـع أثـر الخطـوات متجاهـلًا الألم الخـادِش الـذي يهتـك معدتـه، إلى أن تلاقـت أعينهـما، هـو والقـط الدمـوي، كانـت عينيـه تلمعـان بوحشـية عـلى الرغـم مـن الإضـاءة، وجهـه ملـوَّث بالدمـاء وشـاربه يقطرهـا، عينيـه تلتمعـان بجنـونٍ مُطبَـقٍ، كان مُنهمِـكًا وهـو يلـوك قطعـة لحـم غريبـة بـين فكيـه، اتسـعت عينـا رأفـت حـين أدرك أن هـذا القـط يقـف فوقـه، نظـر إلى معدتـه فجـأة لتصدمـه الحقيقـة المُـرة..

كان هـذا القـط يقـف بداخلـه - حرفيًـا -، كان بطنـه مشـقوقًا وأمعائـه مُمزَّقـة، والقـط مُنهمِـك في أكل أجـزاء منهـا في تلـذُّذ، عَـرِف الآن سـبب الألم الـذي يشـعُر بـه، مـاء القـط بتلـذُّذ وهـو ينهـش قطعـة أخـرى بأنيابـه الحـادة، قطعهـا وهـو يلوكهـا أمـام عينيـه، وكأنـه يتعمَّـد أن يسـتفزَّه، حـاول أن يـصرُخ لكنـه لم يجـد صوتـه، وقتهـا فقـط اكتشـف الأمـر، لقـد أكل القـط لسـانه، لم يعُـد الأمـر قـولًا مأثـورًا، بـل أصبَـح حقيقـة واقعيـة يعيشـها رأفـت، لم يجـد لسـانه، لم يصـدَح صوتـه بالـصراخ، اتسـعت عينـاه رُعبًـا وهـو يـرى القـط يبتلِـع قطعـة أخـرى مـن أمعائـه قبـل أن يُقـرِّر أن يتوقَّـف عـن الأكل، كان ينظـر إلى عينـي رأفـت في تحـدي، لم يكُـن يخشـاه، كان مجنونًـا، كان شـيطانًا ولم يكُـن قطًـا، فجـأة.. قفـز القـط نحـوه في وحشـية، راقـب القـط وهـو يطـير في الهـواء نحـو وجهـه قبـل أن يهبـط فوقـه ويبـدأ في عضـه بوحشـية، أغلَـق عينيـه بشـدة وهـو يجـد صعوبـة في التنفُّـس..

لقد اقتربت النهاية.. وكانت مؤلمة بحق!

***

رن هاتفه في الوقت المُناسِب، استيقظ من نومه وهو يشهق بقوة، كانت عينيه مليئتين بالدموع، كان يبكي أثناء نومه من شدة الخوف، تقلَّب على فراشه وهو يمد يده في جيب بنطاله ليُخرِج هاتفه المحمول، كان موسى هو المُتصِل، أجاب المُكالمة وقبل أن ينبس ببنت شفة سَمِع صوت موسى المليء بالقلق وهو يقول: رأفت.. هذه مُكالمة جماعية وزينب معنا على الخط.. أخبرني.. هل رأيت كابوسًا أنت الآخر؟. ابتلع رأفت ريقه بصعوبة قبل أن يُبادِله سؤالًا بسؤال: كيف عرفت؟. سمع صوت زينب يأتيه من بعيد قليلًا وهي تقول بصوتٍ مُرتعِد: أنا أيضًا رأيت كابوسًا، كانوا يقفون على أقدامهم الخلفية، يريدون قتلي، عشرات القطط، وهناك مُطارِد بوجه.. بوجه قط، و... لم تقدِر على استكمال حديثها، انهارت في البكاء وهي تتنفَّس بصعوبة، حاول موسى أن يُهدئها بينما بدأ رأفت يتذكَّر كابوسه الوحشي بدوره وهو يقول: قط لعين.. شقّ بطني وأكل أمعائي.. الوغد ابن الـ... ناداه موسى ليُحذِّره من السُباب أمام زينب: رأفت.. أنت رأيت كابوسًا، وزينب رأت آخرًا. سألته زينب من بين دموعها: ماذا عنك يا موسى؟. ساد الصمت للحظات قبل أن يرتجِف صوت موسى ويتهدَّج وهو يقول: أما أنا فأتتني رؤية!. لطالما ادعى موسى أن بإمكانه رؤية بعض لمحات المُستقبل عن طريق رؤي يراها في أوقاتٍ عشوائيةٍ، ولطالما سخر منه الجميع، إلى أن بدأ يُخبرهم ببعض الأشياء التي كانت - ولدهشتهم - تتحقَّق فعلًا، لهذا أطلقوا عليه لقب أبو المكارم.

سأله رأفت بحذرٍ: ماذا رأيت؟. كان صوت تنفسه ثقيلًا، مما أخبرهم بأنه يجد مُعاناة في التحدُّث، تعثَّر بين الكلمات وهو يقُص عليهم رؤياه: كُنا نحن الثلاثة في المطعم، في غُرفة المكتب، جُثث نُزِعت منها الحياة، قتلى بوحشية غير طبيعية، كانت زينب مشقوقة

نصفين بالعرض، نصفها العلوي كان يستند على الحائط أما السُفلى فمُلقى بإهمال تحت المكتب، وأنت مُعلَّق على الحائط بعد أن اخترق سكين ضخم جُمجمتك وثبتك إلى الحائط، وأنا.. أنا - على ما يبدو - كُنت أحاول الهرب قبل أن يتمكَّن مني القاتِل، كُنت على الأرض، وجهي للأسفل، وظهري به علامة خدش تُشبِه مخالب القط لكنها عملاقة، عملاقة للدرجة التي مزَّقت جسدي وكانت ضربة واحدة كفيلة بطرحي على الأرض قتيلًا، في وسط الغُرفة وقف شخص عرفت هويته جيدًا دون أن أسأله عن اسمه، ورغم أنها المرة الأولى التي أراه فيها، كان عادِل.. كان هو المسؤول عن قتلنا بهذه الوحشية. سألته رأفت بخوفٍ: ماذا تقصد؟. قال موسى بصعوبة: أقصد أننا لو لم نتحرَّك سريعًا ونمنع الأمر من التفاقُم، ستنتهي حياتنا على يد روح عادل الغاضبة. قالت زينب: لربما كانت كابوسًا وليست رؤية؟. صمت موسى قليلًا قبل أن يقول: لدي دليل على أنها رؤية.. وحقيقية تمامًا. سألاه في صوتٍ واحدٍ: وما هو؟. قال وهو يجد صعوبة في التنفُّس: افتحوا أبواب منازلكم!. ودون تفكير اندفعا بخطوات سريعة نحو بابي منازلهما، فتحه رأفت دون تردُّد بينما تردَّدت زينب للحظة، لكنهما - تقريبًا - فتحاهما في آنٍ واحدٍ، ليجدا في انتظارهما مشهدًا لن ينساه أي منهما طوال حياته، مشهدًا سيسكُن كوابيسهما ويُطارِد أحلامهما طوال الفترة الباقية من حياتهما..

مُعلَّقة على أبوابهم قطط مذبوحة، منحورة العنق تمامًا، تسيل دمائها لتلوِّث الأرضيات، وبخطٍ كبيرٍ كُتِبت كلمات خُطَّت بالدماء: أنتَ التالي. صرخت زينب وهي ترى القط المذبوح المُعلَّف إلى مقبض باب شقتها من الخارج، بينما شهق رأفت بفزع وهو يتراجَع للخلف، سمع كلاهما صوت موسى يقول عبر أثير الهاتف: لو لم نُسرِع في إيجاد حل، سنكون التاليين. وأنهى المُكالمة دون أن يسمَع رد أيهما.

(5)

كان موسى يزرع الغُرفة ذهابًا ومجيئًا دون توقُّف، بينما جلست زينب في ركن الغُرفة تُمسِك بيدها هاتفها المحمول وهي مُنهمِكة في البحث عن شيء ما، بينما حاسوبها المحمول مفتوح وتعرض شاشته أحد المُتصفِحات والعديد من المواقِع التي وصلَت إليها عن طريق مُحرِك بحث شهير، أما رأفت فكان مشغولًا في مُكالمة هاتفية بدت وكأنها تحتضِر في دقائِقها الأخيرة، أنهى مُكالمته وهو ينظر لموسى الذي لم يتوقَّف عن هذا الفِعل الموتِّر للأعصاب وهو يقول: هل لك أن تتوقَّف؟. حدجَه موسى بنظرة حادة مليئة بالغضب، فتابَع رأفت مُتداركًا موقفه: من فضلَك؟. توقف موسى وهو ينظر للفتحة التي أحضر رأفت بعض العُمال لتغطيتها بسُرعة قبل أن ينتبه لها أحد الجيران، الذي تساءلوا بالفعل عن سبب هذا الثُقب وعن مصدر الصوت العالي الشبيه بالانفجار الذي سمعه الجميع في هذه الليلة، اضطرّ رأفت أن يكذب عليهم ويقول أن إحدى إسطوانات الغاز المُستخدمة في المطعم انفجرت بسبب ارتفاع درجة الحرارة، وصدقه الجميع.. كان انفجار أنابيب الغاز في المطاعم أمرًا شبه مُعتادًا، وكان التبرير الذي ساقه رأفت للجميع مُقنعًا لدرجةٍ كبيرةٍ، كان العُمال قد أغلقوا الفتحة بالطوب الأحمر فحسب، على وعدٍ بإحضار عمال آخرون لتمحير الحائط ودهانه، نظر موسى لرأفت مُتشككًا وهو يقول: أكاد أقسِم أن الأمر غير منطقي، أشعر أن لهذا الشيخ المأفون يدًا فيما حدث. لم يشعر رأفت برغبته في خوض هذا الجدال مرةً أخرى، منذ غادرهم الشيخ وموسى يُصرِح بمثل تلك الأفكار الحمقاء

دون توقُّف، تجاهله وهو يهز رأسه بعد اقتناع، نظر لزينب وهو يسألها: هل وصلتِ لأي شيء؟. تنحنحت وهي تقول في خوفٍ وارتباكٍ: وجدت شقة في محافظة بورسعيد، يقولون أن قاطنها كان يحاول تسخير أحد الجان، حين خرجت الأمور عن السيطرة، فأحرق الجان الشقة بأكملها على قاطنها قبل أن يهدم جدارًا في طريقه للخروج، لكن لم أجد شيئًا آخرًا. قال موسى مُعترِضًا: لكن الأمر ها هنا مُختلِف تمامًا، فنحن لم نحاوِل تسخير أي جان، لكنها كانت جلسة تحضير أرواح، كما أن الروح انصرفت دون أن تحرق الشقة ونحن بداخلها. تدخَّل رأفت في غضبٍ حاول أن يخفيه وهو يقول بتوتُّر:

هناك الكثير من الأمور المُختلِفة يا موسى، نحن لا نبحَث عن شيء مُطابِق لما حدث، نحن نحاوِل فهم ما حدث، لنعرِف بعدها كيف سنتصرَّف وماذا سنفعل، خصوصًا بعد أن تركنا الشيخ كرم وفرّ هاربًا هو وصبيه، ورفضه لمُساعدتنا أو حتى التدخُّل في الأمر. بَصَق موسى أرضًا وهو يقول في اشمئزاز: ضعيف وجبان. سألتهم زينب في توتُّر: والعمل؟. أمسك رأفت رأسه وهو يقول بصوتٍ خافتٍ وكأنه يُخاطِب نفسه: علينا أن نُركِّز قليلًا. قال موسى بغضب: كُل شيء بدأ في تلك الجلسة اللعينة. لمعت عينا رأفت وهو يشير إليه صائحًا: أنت عبقري يا صديقي، الجلسة.. كُل شيء كان موجودًا في الجلسة، كما سببت لنا هذه الجلسة هذا المأزق، ستكون هي نفسها سبيل هروبنا منها. انعقدَ حاجبي موسى وهو يقول: لا أفهم أي شيء!. بينما صاحت زينب في حماس: كيف لم ننتبِه للأمر سوى الآن؟ الجلسة وما دار بها هما كلمة السر للنجاة من كُل شيء. قال موسى بغضب: ما زلت لا أفهم شيئًا. نظر رأفت لزينب وهو يقول بحماس يفوق الحماس الذي تشعُر به وهو يقول: علينا أن نهدأ، وأن نسترجِع كُل ما دار في تلك الجلسة، علينا أن نجد شيئًا أو دليلًا يُساعدنا في الوصول لتلك

الـروح، أو بمعنـى أصـح... تولَّـت زينـب منـه دفـة الأمـور وهـي تسـتكمِل حديثـه قائلـةً: أن نصـل للشـخص صاحِـب الـروح، علينـا أن نعـرف لمـاذا مـات؟ ومـاذا كان يفعـل قبـل وفاتـه؟ والأهـم.. أن نعـرف ونفهـم جيـدًا السـبب الـذي جعـل روحـه غاضبـةً بهـذا الشـكل؟ ولمـاذا رفضـت الـروح الاستسـلام والرحيـل!. صـاح مـوسى بغضـب وهـو يرفـع حاجبيـه للأعـلى: هـل يهتَـم أحدكـما أن يـشرح لي مـا يحـدُث؟. ابتسـم رأفـت وهـو يربـت عـلى كتفـه قائـلًا: علينـا أن نحـاول جمـع بعـض المعلومـات مـن الجلسـة، ومـن ثـم سـأشرح لـك خطواتنـا التاليـة خطـوة بخطـوة. جلسـوا جميعًـا حـول المنضـدة للمـرة الثانيـة، لكـن هـذه المـرة لم يكُـن متـولي أو الشـيخ كـرم ضيوفًـا في جلسـتهم، وإنمـا كان الخـوف والتوتُّـر حاضريـن بـدلًا منهـم، قـال رأفـت وهـو يُمسِـك بورقـة فارغـة وقلـم وهـو عـلى أتـم اسـتعداد لتدنيـس بيـاض الورقـة بالحـبر الأزرق قائـلًا: فكَّـروا.. مـاذا نعـرف عنـه؟. قالـت زينـب: اسـمه عـادل. قـال رأفـت مُثنيًـا عـلى زينـب: بدايـة جيـدة للغايـة. تابـع مـوسى وقـد تذكَّـر شـيئًا هامًـا: صعيـدي، مـن قريـة وليـس مدينـة أو محافظـة. سـجَّل رأفـت مـا بـاح بـه مـوسى لتـوه قبـل أن يتبـادل الثلاثـة الأنظـار إلى بعضهـم البعـض، كان كل منهـم يبحـث آمـلًا عـن معلومـات في حـوزة الآخـر، لكـن أحدهـم لم يمْلُـك مـا يريـح بـال الباقـين، شـعر رأفـت بخيبـة الأمـل وهـو يضـع القلـم جانبًـا، نكَّـس مـوسى رأسـه لـلأرض في يـأسٍ وهـو يقـول: والعمـل؟. قالـت زينـب: البحـث عـن شـخص مـن قـرى الصعيـد يُدعـى عـادل، يُشـبه البحـث عـن إبـرة في كـوم قـش، إن لم يكُـن أكـثر صعوبـةً. زفـر رأفـت في غضـب وهـو يقـول: كانـت فكـرة نجيبـة، لكنهـا لم تصـل بنـا إلى أي شيء، وأدت الأمـل في مهـده وسـمحت لليـأس أن يسـيطر عـلى كُل شيء. قـال مـوسى بيـأسٍ: إذا لنـترك كُل شيء، كُل مـا هـو مقـدَّر سـيحدُث. قالـت زينـب بخـوف: مـن واقِـع خبرتنـا في مُشـاهدة أفـلام الرعـب وقـراءة الروايـات المُخيفـة، تعرفـان جيـدًا أن تلـك

الـروح لـن تتركنـا وشـأننا. صـاح مـوسى بغضـبٍ وهـو يـضرب المنضـدة بقبضتـه: كفـاكِ هـراءً، تعرفـين جيـدًا أن الواقـع دائمًـا مـا يختلِـف عـن تلـك الخرافـات وهـذه العـوالم الخياليـة. تنحنـح رأفـت فجـذب الأنظـار إليـه وهـو يقـول بهـدوء شـابه الكثـير مـن الخـوف: في الحقيقـة.. زينـب مُحِقّـة. انعقـد حاجبـا مـوسى في عـدم فهـمٍ وهـو يقـول: مـاذا تقصـد؟. تنهَّـد رأفـت وهـو يقـول: أقصـد أننـا إن لم نجـد حـلًا لتلـك المُعضِلـة، سـتُنهي تلـك الـروح الغاضبـة مـا أتـت مـن أجلـه، ومـن ثـمّ سـتكرِّس كامل جهودهـا للانتقـام منّـا. اتسـعَت عينـا مـوسى خوفًـا وقـد فَهِـم مـا يرنـو إليـه رأفـت، عـرف جيـدًا أنـه ليـس بإمـكان أحدهـم مقاومـة تلـك الـروح أو ردء شرهـا، نظـر لمـكان الثقـب الموجـود في الحائـط والـذي تـم رتقـه بطـوبٍ أحمـرٍ وهـو يبتلِـع ريقـه بصعوبـة مُـردّدًا: اسـتر يـا رب!. فجـأة وقفـت زينـب وهـي تقـول بحـماسٍ مُبالَـغ فيـه وبصـوتٍ عـالٍ: وجدتهـا!. وقـف كلاهـما وهـما ينظـران إليهـا في دهشـة، ابتسـمت للحظـة قبـل أن تقـول: حسـنين!. « تحـت أمـر معاليـك يـا فنـدم. نَطَـق بهـذه الكلـمات في توتُّـر وهـو يقـف باحـترامٍ لـن يـراه مُحدِثَـه ذو الرتبـة العاليـة، التـي يسـتقِر فيهـا نسـر وبجـواره نجمتـين عـلى كتفيـه بشـموخٍ لا يقـدِر أحدهـم عـلى تحديـه، وعـلى الرغـم مـن أنـه كان بإمكانـه أن يُخاطِـب مُحدثـه السـيد العقيـد عبـد الرحمـن الشـامي وهـو جالِـس عـلى مقعـده دون أن يبـدي احترامًـا أو اهتمامًـا، إلا أنـه اختـار - وبرضـا نفـسٍ بالـغٍ - أن يقـف لـه احترامًـا، إجـلالًا، وتقديـرًا..

أنهـى المُكالمـة وهـو يضـع هاتفـه المحمـول عـلى المكتـب وسـط الأوراق، سـأله زميـل لـه يجلـس عـلى مكتـبٍ مُتهالِـكٍ بـدوره: مـاذا يُريـد؟. قـال وهـو يبحـث عـن شيء مـا في أحـد أدراج المكتـب الـذي فُتِـح بصعوبـة وكأنـه عـلى وشـك التحطُّـم: سيُرسِـل الضابِـط أنـدرو مـن أجـل الحصـول عـلى بضـع ملفـات هامـة تخـص قضيـة اغتيـال المُفكِّـر عـلاء اليـماني، يقـول

أنهـم أمسـكوا بشـخصٍ جديـدٍ يشـبهون في اضطلاعـه في جريمـة الاغتيـال لكـن يحتاجـون لبعـض الملفـات مـن أجـل شيء لا أعلمـه. سـأله زميلـه وهـو مُنهمِـك بـدوره في تصفُّـح مجموعـة مـن الملفـات، بحثًـا عـن أوراق مطلوبـة في جهـة مـا: لمـاذا لم تسـأله؟.

(6)

توقَّف عن البحث في الدرج وهو يرفَع رأسه للأعلى، حدَّق نحو زميله للحظة قبل أن يمط شفته وهو يعود لاستكمال بحثه دون اهتمام يُذكَر: لم أملك من الجرأة ما يكفي لسؤاله. ابتسم زميله شبح ابتسامة باهتة لم تدُم للحظات، أغلق الملف الذي يُمسِك به بين يديه وهو يضعه جانبًا ليتربَّع فوق كومة ملفات مُصطفة بإهمال فوق مكتبه ويُمسِك بملفٍ جديدٍ، انعقد حاجبيه في عُنف وهو يسمع صراع زميله مع أدراج مكتبه القديم، رفع رأسه وهو يقول: حسنين؟ علام تبحَث؟. قال حسنين دون أن ينظر إليه: القداحة!. ضحك زميله بصوتٍ عالٍ، لم يفهم حسنين سبب ضحكه، حدقه بنظرة غاضبةٍ وهو يسأله: لماذا تضحك يا حلمي؟. أشار إليه حلمي وهو يقول: لأن القداحة في جيب قميصك يا صديقي!. نظر حسنين ببطء إلى جيب قميصه ليجد القداحة تستقِر بداخله، ابتسم بإحراج وهو يُمسِك بها ويُشعلها بتوتُّر محاولًا أن يتغلَّب على شعوره بالخجل، قال حلمي وهو يغمز بعينه: أما زلت تفكِّر بها؟. شعر حسنين بوجهه يحمر خجلًا، قرَّر أن يغيِّر دفة الحديث متسائلًا بجديةٍ: ألم يخبرك أي شخص أنك تُشبه الضُفدع حين تغمز بهذه الطريقة؟. قهقه زميله وقد عَلِمَ ما يحاول حسنين فعله فقال: أخبروني كثيرًا، كما أخبروني أنك تفكِّر فيها دون انقطاع. ابتسم حسنين مرة أخرى وهو يتحرَّك نحو ركن الغرفة متسائلًا دون أن ينظر إلى زميله: هل تريد قهوة؟. قال زميله بحماس وهو يعود لمراجعة الملف المفتوح أمامه: ومن ذا الذي يقول للقهوة لا؟. انهمك حسنين في صنع فنجانين من القهوة على نيران

هادئة لـ سبرتاية قديمة صدئة وهو يتأمَّل المكان من حوله، منذ تخرُّجه وهو حبيس هذا القبو الكئيب، لكن في منصبٍ يحسده عليه الكثيرون من زملائه، خصوصًا من يعرف منهم بوجود هذا المكان، قبو مُظلِم في فيلا قديمة شبه مهجورة في منطقة المعادي، أغصان أشجار حديقتها الأمامية مُتشابكة في صراع حميمي، الفيلا مُظلمة مهجورة أمام الجميع، لكن في قبوها يأتي يوميًا زوجًا من الموظفين ليُمارسا مهام عملهما الحكومي، حسنين الزيَّات وحلمي الشبراويشي، موظفا الأرشيف في قبو كئيب يحتفظ بين جنباته بآلاف الملفات والأوراق الرسمية التابعة لوزارة الداخلية المصرية.

وظيفتهما سهلة ومُمتعة للغاية، تكمن سهولتها في كونهما يحفظان تصنيفات هذه الملفات عن ظهر قلب، ففي نهاية القبو ملفات القضايا السياسية، عن يمينها قضايا التخابر، وقبلها القضايا الخاصة بالرياضة، في منتصف القبو قضايا القتلة والسفاحين، وهكذا.. إلى نهاية التصنيفات، أما مُتعتها البالِغة تكمُن في كونهما يقضيان أغلب وقتيهما في النظر إلى الملفات وقراءة هذه القضايا، كان حسنين يهوى القراءة من صغره، وكانت سلسلته المُفضلة هي سلسلة الأرشيف.. تلك السلسلة التي أصدرها وأشرف عليها الصحفي الكبير سالم منصور عبد الرحمن، لم يُصدِّق نفسه حين أتته تلك الفرصة ليُشرِف على أرشيف وزارة الداخلية بأكمله، وليس مُجرَّد أرشيف صحيفة أسبوعية مثل سالِم.

كانت وظيفته سرية، لم يخبر بحقيقتها سوى أمه وأبيه فحسب، مات والده قبل أن يُفشي سره، لكن والدته - أطال الله في عُمرها - فلم تُخبِر سوى خالتها وابنتها زينب فقط، وبضع نساء من الشارع، وعم حمادة البقال، وإبراهيم السبّاك، وعم عيده بائع السمك، لكن

الأمر لا يزال تحت السيطرة، لم يتجاوز عدد الأشخاص الذين يعرفون بأمر وظيفته المليون نسمة بعد!

حسنين كان يُقدِّس وظيفته، كان هذا القبو محرابًا يحترمه ويُجلَّه، يُحب هذه الملفات حبًا جمًا، مثلما يُحبها، كان قد صارَح حلمي بكُل شيء، قص عليه ملاحم ومُعلّقات عن زينب الراعي ابنة خالته وجمالها الذي لا يوجد له مثيل في الكون بأكمله، زينب التي طالما هربت منه وتجنبته وكأنه مريض طاعون أجرَب، صارحها بحُبه كثيرًا لكنها دائمًا ما كانت تتهرَّب منه، حاول لفت نظرها لكنها لم تهتَم بشكلٍ كافٍ، لطالما اتصل بها وتجاهلت مُكالماته، لطالما أرسل لها رسائل نصية دون أن تجيبه، كان يُحب زينب حبًا جمًا، بينما تتهرَّب منه هي بكُل ما أوتيت من قوة، لذلك يحاول حلمي دائمًا أن يثير غيظه بتلك الأمور.

أفاق من أفكاره على صوت القهوة التي استغلت غرقه بين أمواج فِكره لتفور خارج الكنكة النحاسية، أمسك بها سريعًا وهو يصبها في فنجانين نظيفين صغيرين، حملهما بحرصٍ بالغٍ وهو يضع أحدهما على مكتب زميله بحذر بعيدًا عن الملفات كيلا تلوثها القهوة ولو عن طريق الخطأ، بينما حَمَل الآخر مُتجهًا إلى مكتبه، وضعه فوق المكتب وجذب المقعد الخشبي وهو يستعِد للجلوس، سأله زميله قبل أن يرشف رشفته الأولى: ألن تقوم بتحضير الملفات التي طلبها سيادة العقيد؟. قال حسنين مُبتسمًا: أعرف مكان كُل شيء، أحفظ مكان كُل ورقة وكُل ملف في هذا المكان، لن أستغرِق بضع ثواني حين أسمع سيارة الضابط أندرو تقف بالخارج، وحين يصل إلى هنا سيجد كُل شيء في انتظاره. رشف حلمي رشفته وعلامات الاستمتاع تبدو على وجهه وهو يقول: حسنًا يا صديقي، سلمت يداك. سمع كلاهما

هاتف قديم يرن، كان حسنين يكره التكنولوجيا للغاية، يُقدِّس الطرق القديمة في التعامُل، يكره الهواتف والأصوات المعدنية التي يحملها أثيرها لتُساهِم في توسيع المسافات بين الناس وبعضهم البعض، يُحب الخطابات ويرى أن جُملة مكتوبة بخط اليد تساوي ألف ألف دقيقة هاتف، لهذا يحمل هاتفًا قديمًا دون كاميرا أو اتصال بالإنترنت، بحث عن هاتفه بين الملفات بتوتُّر، يخشى أن يكون المُتصِل هامًا أو يحمل فوق كتفيه رتبة كبيرة، لأنهم يكرهون الانتظار ويرونه مُهينًا لهم!

وجد هاتفه ونظر إلى الشاشة قليلًا قبل أن ينعقِد حاجبيه بقوة، لاحظ زميله التغيُّر القوي الذي ظهر على وجهه فسأله: ما الأمر؟. دون أن يجيبه حرَّك شاشة الهاتف الصغيرة نحو صديقه ليُطالع الاسم المكتوب على الشاشة أمامه قبل أن يرتفِع حاجبيه بدهشةٍ بالغةٍ

فأمام عينيهما كانت الشاشة تكشف لهما عن آخر شخص يُمكِن أن يتوقعا منه اتصالًا.. زينب الراعي!

(7)

في كازينو قديم جَلَسَ وطّفّق ينتظرها، لم تُحدثه منذ أمدٍ بعيدٍ، لذا لم يُصدِّق نفسه حين رأي رقمها يظهر أمامه، وهاتفه القديم يهتز فرحًا وهو يُصدِر صوتًا مشوَّهًا بقليلٍ من التركيز ستعرِف أنها نغمات أغنية أجمل إحساس في الكون لمُطربته المُفضَّلة أليسا، لطالما تجاهلت الإشارات التي كان يُرسلها، تجاهلت التلميحات التي كان يُصرِّح بها، فاتجه لأسلوب مُختلِف تمامًا عن طبيعته التي خُلِق بها، لم يكُن مرتاحًا، كان يشعُر وكأنه يخون نفسه وذاته مع نفس جديدة، لكنه فعلها عن طيب خاطِر من أجلها، صارحها بحُبه بصراحةٍ في أحد الأعياد، حيث تجمَّعَت العائلة بأكملها عند جدتهما في صباح أول أيام العيد، ابتسمت في خجل وهي تُخبره أنها أيضًا تُحبه، لم تكن ابتسامته قد اكتملَت حين بادرته بضربة قاضية تفوق ضربات محمد علي كلاي قوة وصرامة، حين قالت أنها تُحبه مثل شقيقها تمامًا.

من بعدها وهي تزور جدتها في أوانٍ مُختلِفٍ، سأل عنها والدتها فارتبكت واحمرّ وجهها وهي تخبره أنها مشغولة في إدارة المطعم مع زميليها، شعر بالغيرة والغضب في آنٍ واحدٍ، سأل أمها في غضبٍ عارمٍ عن السبب الذي سمح لها أن تشارك رجلين غرباء عنها في مشروع كهذا؟ شعرت خالته بالغضب، أحسَّت أنه يقلِّل من قيمة تربيتها لابنتها، ثارت في وجهه غضبًا وهي تخبره أنها ربَّت ابنتها أحسن تربية، وأنها لن تسمح له أو لغيره أن يُشكِّك فيها أو في ابنتها، لم يعلم لماذا حمَّلَت خالته الأمور فوق طاقتها، ظل عدة شهور مُقتنِع أنه ربما أساء الأدب في حضرتها دون أن يقصد، لكنه اكتشَف أنها ثارت في

وجهه بسبب خلاف بين والدته وبينها بسبب جمعية دخلتاها سويًا واختلفتا على الأدوار وترتيبها.

بعدما اطمأن قلبه أن لم يكُن سببًا لغضب خالته، عاد مرة أخرى لمحاولات التودُّد إلى زينب، نصحه حلمي زميله في العمل مرارًا وتكرارًا أن يتركها لحال سبيلها طالما أنها لا تُبادِله هذا الحُب، لكنه كان مُصرًا، يرى أن المُحب اللحوح خير من المُحب الخجول، وأن من يُصِر على ما يريد يحظى به في النهاية، لم ير يومًا أنه غريب الأطوار مثلما أخبرته زينب في مرة، بل زاده الأمر إصرارًا، كان مُقتنِعًا تمامًا أنها ستكون له يومًا، وحينها ستُقدِّر له تمسكه بها وإصراره عليها، لهذا لم يترك لليأس ثغرة يتسلَّل منها إلى قلبه أبدًا.

أفاق من أفكاره التي كانت تثور بداخله كبركانٍ ثائرٍ حين رآها، كانت تتهادي نحوه في خطواتٍ رقيقةٍ، وكأنها بُعِثت من عشق لتذيب قلبه، عدَّل من ملابسه سريعًا وهو يربت على شعره بخفة ليتأكَّد أنه مُصفَّف بعناية لا بأس بها، وقف في استقبالها وهو يتأملها بأعين تهيم بها حبًا، تحرَّك نحوها خطوة وهو يمد يده ليستقبلها، صافحته في رقة وهي تبتسِم، ذاب قلبه من كثرة المشاعر المُختلجة بداخله وهو يُراقِب ابتسامتها، كاد أن يقرص نفسه ليتأكَّد أنها تبتسِم له، لكنه خاف أن يبدو أمامها كالأبله فتراجَع عن الفكرة، جذب لها المقعد لتجلس، انتظرها حتى جلست قبل أن يُعدِّل من وضعه ليتأكَّد أنها تشعر بالراحة، بخطواتٍ سريعة تحرَّك ليجلس في المقعد المُقابِل لها وهو يبادلها الابتسام.

بعد لحظة من الصمت المُربِك قرَّر أن يستجمع شجاعته ويقول بصوتٍ مُتهدِّج من كثرة العشق: لم أصدِّق نفسي حين هاتفتني!. اتسعت ابتسامتها وهي تقول: ألا يحق للفتاة أن تُقابِل ابن خالتها

المُفضَّل؟. حسنًا.. حاول أن يهدأ، كانت مشاعره تجيش بداخله الآن وتكاد تفيض من كثرتها، لكنه تماسَك وهو يقول: يحق للفتاة أن تفعل ما تشاء وقتما تشاء. صمت قليلًا قبل أن يضيف بصوتٍ خافتٍ يُغلِّفه الخجل: خصوصًا لو كانت جميلة مثلكِ. توقَّع أن تُقابِل مُغازلته بقليلٍ من الجفاء أو كثيرٍ من التجاهُل، لكنها ابتسمت ووجنتيها تحمرَّان خجلًا قبل أن تنظر للأرض، بدأ قلبه يدُق بقوة حتى أنه خشي أن تسمع دقاته وتعرِف ما يختلِج بداخله، تنفَّس بهدوء وهو يتأملها، كانت مثالًا للرقة البالغة، للجمال الذي لا يعرف حدودًا، كان يعرف يقينًا أنها لو عاشت في أزمنة الإغريق لنصبوها إلهة للجمال بدلًا من فينوس، رفعت رأسها ببطء والحمرة لم تتخلى عن وجنتيها بعد وهي تنظر في عينيه قائلةً: أحتاج لخدمة مُهِمة، ولم أجد خيرًا منك ليُساعدني. في الحقيقة لم يكُن مُهتمًا أبدًا بسبب لقائهما، كان يكفيه أن يراها وينظر في عينيها، ليذهَب العالم إلى الجحيم، فهو ذاهب إلى جنة عينيها، ابتسم وهو يقول بغير تركيز: أي خدمة؟. كان تائهًا في عوالم من عشق سكنت عينيها وهي تقول: أنت تعرف أنني دائمًا ما كُنت مُتهمَّة بعوالم الرعب والغموض، الماورائيات والغرائِب. قال دون أن يرفع عينيه عن عينيها: أعرف هذا جيدًا. ابتسمت وهي تُضيف: قرَّرت أن أغيِّر مقعدي، سأتنحى عن منصبي كقارئة ومُطالِعة لهذه الأمور، وسأتحوَّل لمُغامِرة، قرَّرت أن أسبر أغوار هذه العوالم، قرَّرت أن أبدأ في كتابة روايتي الأولي. اتسعت عينيه بغير تصديق وحاجبيه يرتفعان للأعلى، دام هذا الوضع للحظات قبل أن يبتسم وهو يقول بتشجيع: مبارك عليكي يا زينب. تحرَّكت يده بتلقائية لتحتضن يدها، توقَّع أن تبتعِد عنه، ربما تصرخ به أو تسبَّه، توقَّع أن تنظر له باشمئزاز، لكنها نظرت للأرض خجلًا مرة أخرى دون أن تُحرِّك ساكنًا وتركت يدها تستريح في يده، شعر بقلبه ينتفِض بين

ضلوعه وهو لا يُصدِّق ما يحدُث، رفعت رأسها لتُطالعه بأعين يتراقص فيها الخجل وهي تقول: لهذا أحتاج مُساعدتك. قال مُبتسِمًا: وأنا تحت أمرك في كُل شيء وفي أي شيء. قالت وهي تبادله الابتسامة: اتجهت لكتابة الرواية مؤخرًا، وفوجئت أن عدد الكُتَّاب في مصر فاق التوقعات، في حد ذاتها.. هذه ظاهرة صحية وإيجابية للغاية، لكنها موتِّرة ومُقلِقة، خصوصًا.. لكاتبة مُبتدئة تبدأ في سطر أول فصول روايتها الأولى، ما زالت لا تمتلِك الخبرة الكافية لتُثبت ذاتها في هذا الوسط، لذا قرَّرت أن أقوم ببعض البحث، ولن تصدِّق ما وجدت. قال وقد بدأ الفضول يملأه: ماذا وجدتِ؟. « يميل القُراء للبحث عن الرعب الحقيقي، يحبون الأشياء التي حدثت في عالمنا ويبحثون عنها، يفضلونها عن الرعب الخيالي الذي لا يمُت للواقع بصِلة، قرَّرت أن أبحث عمّا يفتقده القُرّاء في هذا المجال، ووجدت أن عدد الروايات التي تتحدَّث عن القتلة المُتسلسلين قليل للغاية، لذا قرَّرت أن أكتب روايتي الأولى عن قاتل متسلسل مصري حقيقي تمامًا، وفكرت كثيرًا.. من الوحيد في مصر بأكملها الذي يستطيع مُساعدتي؟. شعر بالفخر يملأه والزهو يتدفَّق بداخله، قال وهو يفرد صدره مزهوًا بنفسه: أنا الوحيد، ملفات وأرشيف وزارة الداخلية، كامل مجرميها وقتلتها المُتسلسلين، المعروفين منهم والمجهولين.. هنا. أنهى جُملته وهو يشير إلى رأسه في إشارة واضحة أنه يحفظ هذا الأرشيف عن ظهر قلب، وكانت هي تعرف هذا جيدًا، سألها بعدما أنهى جُملته: إلام تحتاجين؟. ظهرت عليها علامات التفكير وهي تتأمَّل النيل القريب منها قبل أن تقول: أريد أن أكتب عن قاتل مُتسلسل من الريف المصري، أو من الصعيد، أريد أن تكون مُغامرة حامية الوطيس. قال وهو يحتضن يدها بين يديه: هناك الكثير من القتلة المُتسلسلين ظهروا في صعيد مصر في الفترات الأخيرة. ابتسمت وهي تقول: أحتاج لشخص كانت له

علاقة بالحيوانات الأليفة، أريد أن تحمل روايتي رسالةً، أريد أن ألفت أنظار القراء لأهمية الرفق بالحيوان، هل استعان أي قاتِل منهم بأي حيوانات أثناء ارتكابه لجرائمه؟. فكَّر قليلًا قبل أن يقول: لا، ليس على حد علمي، لم يستعمِل أي قاتل منهم أي نوع من الحيوانات. صمت قليلًا قبل أن تلتمِع عينيه وهو يقول: عادل ممدوح، قاتِل القطط. رفعت حاجبيها وهي تقول: عادل ممدوح؟ هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها بهذا الاسم!. قال وهو فخور بنفسه: هذا لأن هذه القضية محظور نشرها، لن تجدي عنها أي أخبار في أي مكان، خافوا وقتما حدثت أن تثور جمعيات الرفق بالحيوان وأن يصل الأمر للجمعيات العالمية وأن تحدث مشاكل بسبب قتله المُستمِر للقطط. فكَّرت قليلًا قبل أن تقول بخيبة أمل: أحتاج لمزيد من المعلومات عن هذه القضية تحديدًا.. كيف لي أن أجد المزيد؟. ابتسم وهو يقول: ربما لا تحتوي الملفات التي أمتلكها في الأرشيف على كثير من المعلومات، لكنها تحتوي على الأقل على بداية الخيط. ضغطت يده في لين وهي تقول بغنج: وهل يمكنني الحصول على طرف الخيط؟. قال وهو يحتضن يدها برفقٍ: قرية صغيرة من قُرى صعيد مصر.. بإمكاني أن أعطيك اسم القرية الآن، وسيتحتَّم عليكِ بعدئذ أن تنتظري يوم أجازتي لنزورها سويًا ونسأل أهلها عن بقية المعلومات. ابتسمت وهي تقول: موافقة. استمرت جلستهما لنصف ساعة أخرى تحدثا فيها عن جدتهما وعن العلاقة التي توتَّرت مؤخرًا بين والدته ووالدتها، فكَّرا في الكيفية التي سيوثقون بها أطر الود مرة أخرى، ودعها ووقف في انتظار أن يطمئِن عليها إلى أن وصلت سيارة الأجرة التي طلبتها عن طريق تطبيق غريب في هاتفها المحمول، لم يُعجبه أن تركب سيارة خاصة مع شاب وسيم، لكنه خاف أن يُفصِح عن مكنونات صدره، قرَّر أن يحدثها في هذا الأمر مرة أخرى، ليس الآن

عـلى أي حـال..

أغلـق بـاب السـيارة بعـد أن ركبـت وودعهـا، أخرجـت هاتفهـا مـن حقيبتهـا وهـي تتصـل برقـم اختارتـه مـن بـين قائمـة الأسـماء، انتظـرت إلى أن رد عليهـا مُحدثهـا لتقـول: حصلـت عـلى اسـم القريـة، سنُسـافِر إلى الصعيـد غـدًا، جهـزا حقائبكـما. وضعـت هاتفهـا في حقيبتهـا وهـي تُخـرج عبـوة صغـيرة مـن الجيـل المُطهِّـر وتغسـل بـه يدهـا سريعًـا، لم تكُـن تتحمَّـل فكـرة أنـه كان يُمسِـك بيدهـا منـذ لحظـات قليلـة!

(8)

قرية مصرية صغيرة تابِعة لإحدى مُحافظات الصعيد، وعلى الرغم من صِغَر مساحتها وقلة عدد سُكَّانِها، إلا أنها واحدة من أشهَر القُرى في العالم، والحقيقة أن شُهرتها العالمية تفوق شُهرتها المحليَّة، ويرجِع سبب هذا إلى عدم اهتمام الناس - حتى قاطنيها - لسبب شُهرتها، وعدم محاولتهم الاستفادة من الأمر لا ماديًا ولا معنويًا، والسبب في هذا الأمر يرجع إلى إهمالهم أو تكاسلهم - لا سَمَح الله - وإنما يرجع إلى كونهم مُجرَّد تروس مطحونة في ماكينة كبيرة ضخمة تسعى طوال الوقت لشيءٍ واحِدٍ.. لُقمة العيش.

منذ عدة سنوات أرسَل أحد قاطنيها إلى موسوعة جينيس العالمية، الموسوعة المُختصَّة بالأرقام القياسية، وطلب منهم إرسال وفد رسمي تابع لهم كي يتأكَّد بنفسه من معلومة هامة، ألا وهي أن تلك القرية بها أكبر عدد توائم في العالم، وهذه كانت حقيقة.

الرقم القياسي السابِق كان ملكًا لقرية أوكرانية تُدعى فيليكايا كوبانيا المشهورة عالميًا بأرض التوائِم، يعيش على أرض هذه القرية ١٢٢ توأمًا من الذكور والإناث، وهذا رقمًا مُذهلًا ويستحِق أن يُسجَّل في موسوعة جينيس، لكن القرية المصرية الشهيرة بـ كوم التوم نظرًا لطريقة أهلها الريفيين في نطق كلمة توأم واستبدالها بلفظة توم طبقًا للإحصاء التي قامَت به موسوعة جينيس يعيش على أرضها في الوقت الحالي ١٨٢ توأمًا، بما يزيد عن ٦٠ توأمًا عن أرض التوائِم الأوكرانية، وبهذا خطَّت القرية المصرية اسمها بحروفٍ من فخر في الموسوعة.

لكـن أهلهـا فقـراء مطحونـين، لا يهمهـم الظهـور الإعلامـي، ولا يعرفون للتسـويق طريقًـا، لـذا رفضـوا اللقـاءات التليفزيونيـة والعـروض بالظهـور عـلى شاشـات التليفزيـون، خصوصًـا بعـد أن رفضـت إدارات تلـك القنـوات أن تمنحهـم مُقابـلًا مـن أجـل الظهـور عمـلًا بمبـدأ أن عليهـم أن يحمـدوا اللـه أنهـم نالـوا شرف الظهـور عـلى شاشـات تلـك القنـوات، موفّريـن هـذه النقـود مـن أجـل نجـوم تمثيـل وغنـاء يظهـرون عـلى تلـك الشاشـات يوميًا، اكتشـف أهـل القريـة اكتشـافًا مُذهـلًا.. أن شرف الظهـور هـذا لا يُغنـي ولا يُسـمِن مـن جـوع، ولـن يسـد جـوع أبنائهـم، لـذا توقفـوا عـن قبـول تلـك الدعـوات وخبـا بريـق الأمـر سريعًـا، خصوصًـا بعـد أن قـرَّرت تلـك القنـوات وهـذه الصُحـف ألا تتحـدَّث عنهـم كنـوع مـن أنـواع العِقـاب.

وطـأت أقـدام الثـلاثي الشـاب هـذه القريـة بعـد رحلـة طويلـة امتـدَّت لما يُقـارِب الاثنـي عـشر سـاعة، بـدءً مـن الأوتوبيـس العـام الـذي حملهـم في رحلـة اسـتمرَّت سـاعة تقريبًـا إلى محطـة مـصر برمسـيس، ثـم رحلـة قطـار اسـتمرَّت لتسـع سـاعات تقريبًـا وصـولًا للمُحافظـة، ومنهـا رحلـة أخـرى بسـيارة بيجـو ٧ راكِـب مُتهتِكـة الأوصـال، تـكاد تنهـار هرمًـا ووهنًـا اسـتمرَّت لسـاعة وصـولًا لأكـبر مراكِـز هـذه القريـة، ثُـم سـيارة ربـع نقـل احتلـوا صندوقهـا الخلفـي لسـاعة أخـرى وصـولًا لتلـك القريـة، نقـد رأفـت سـائِق السـيارة النقـل مالـه وعـاد ليقـف بجـوار مـوسى المُنهمِـك في تمطيـط جسـده محـاولًا أن يُقنِـع عضلاتـه ألا تؤلمـه بهـذا الشـكل، بينـما وضعـت زينـب حقيبتهـا أرضًـا وهـي تجلـس فوقهـا خائـرة القـوى لا تقـدر عـلى الحـراك، نظـر لهـما رأفـت في دهشـة وهـو يشـعُر بالأدرينالـين يجـري في عروقـه مجـرى الـدم قائـلًا: مـا بكـم؟ ألا تشـعُران بالحـماس؟. نظـرت لـه زينـب بغـير تصديـق وهـي تقـول: أتمنـى لـو أننـي أملـك القـدرة عـلى حمـل هـذا الحجـر وإلقائـه نحـوك، لكننـي لا أسـتطيع مـن شـدة التعـب. قـال مـوسى لـلأرض وهـو يقـول: كانـت هـذه الرحلـة عقابًـا نسـتحقه بعـد

مـا حـدث في تلـك الجلسـة. راقَـب حاجبـي رأفـت يرتفعـان في دهشـة، وإمـارات الغضـب تبـدو جليـة عـلى وجـه زينـب قبـل أن يقـول: أسـتحقه.. عقابًـا أسـتحقه. قبـل أن يُضيـف محـاولًا تغيـير دفـة النقـاش: والآن.. ماذا؟. تلفَّـت مـوسى حولـه قبـل أن ينظُـر في سـاعته وهـو يقـول: سـنحاوِل أن نسـأل أهـل القريـة عـن عـادل، ونحـاوِل أن نجمَـع أكبر قـدر مُمكِـن مـن المعلومـات قبـل أن يتأخَّـر الوقـت، ومـن ثـم سـنعود للمركـز لنبيـت ليلتنـا في الفنـدق المجـاور لمحطـة القِطـار، وفي الصبـاح سـنعود لمنازلنـا مُسـلَّحين بالمعلومـات التـي جئنـا مـن أجلهـا. قالـت زينـب وهـي تقـف وتحـاول أن تُرتِّـب ملابسـها قليـلًا: تبـدو خطـة جيـدة. بالطبـع جـذب وجودهـم وطريقـة ارتدائهـم لملابسـهم أنظـار أهـل القريـة، خصوصًـا مجموعـة مـن الصِغـار الذيـن التفـوا حولهـم يُراقبونهـم بأعـين يتقافَـز منهـا الفضـول، بحـث رأفـت في جيبـه قليـلًا إلى أن وَجَـد ضالتـه، قطعـة مـن البسـكويت كان قـد اشـتراها في القطـار ولم يأكلهـا، أمسـك بهـا في يـده، كان حريصًـا عـلى أن يراهـا الأطفـال جيـدًا قبـل أن يُشـير إلى أقربهـم وهـو يقـول: تعـال يـا صغـيري. تـردَّد الصغـير للحظـات قبـل أن يقـترب بتوتُّـر وهـو يُقـدِّم خطـوة ويؤخِّـر أخـرى نحوهـم، أعطـاه رأفـت قطعـة مـن البسـكويت وهـو يسـأله: هـل تعـرف شـخصًا يُدعـى عـادِل... لم يتذكَّـر باقـي الاسـم فنظـر إلى زينـب التـي قالَـت: ممـدوح! عـادل ممـدوح؟. تغـيَّرت ملامـح الصبـي، احتـلّ الخـوف ملامحـه وهـو يعطـي قطعـة البسـكويت لرأفـت وقـد شَـحَب وجهـه وكأنـه رأى شـبحًا، هـز رأسـه وهـو يركـض ليبتعِـد عنهـم، ميَّـز رأفـت جسـد الفتـي المُرتعِـد أثنـاء ابتعـاده عـلى الرغـم مـن الجِلبـاب الواسِـع الـذي كان يرتديـه، أمسَـك قطعـة البسـكويت ولـوَّح بهـا نحـو باقـي الأطفـال وهـو يسـألهم: هـل تعرفـون شـخصًا يُدعـى عـادل ممـدوح يـا أطفـال؟. ركـض الأطفـال بعشـوائية لا مثيـل لهـا، انطلَـق كل منهـم إلى اتجـاه سريعًـا وكأن الشـياطين تُطاردهـم، واحـدة منهـم.. كانـت

أصغرهـم سـنًا بـدأت تبـكي وهـي تركـض بعيـدًا، شـعر الثلاثـة بالتوتُّـر والخـوف وهـم يتبادلـون النظـرات وعلامـات عـدم الفهـم تحتـل قسـماتهم جميعًـا.

سـاد الصمـت للحظـات قبـل أن يُقـرِّر مـوسى أن يقطعـه بصوتـه الجهـوري مُسـتنكرًا: هـل أنـت مخبـول؟ تسـأل أطفـال عـن قاتِل مُتسلسِـل. رفعـت زينـب حاجبيهـا في دهشـةٍ واسـتنكارٍ وقـد أدركـت مـدى فداحـة الخطـأ الـذي ارتكبـه رأفـت الـذي احمـرَّ وجهـه خجـلًا، حملـوا حقائبهـم وبـدأوا في التجـوُّل في طرقـات البلـدة يبحثـون عـن شـخصًا بإمكانـه المُسـاعدة، لكنهـم كُلـما توسَّـموا خـيرًا في شـخص مـا، هـرب منهـم بمُجـرَّد أن يسـمع اسـم عـادل ممـدوح، ذكـر كان أو أنثـى، شـابًا أو عجـوزًا، كلـما سَـمِع أحدهـم اسـم عـادل ممـدوح فـر هاربًـا، وكأي قريـة مصريـة صغـيرة تحـترِم نفسـها، تفـشى خـبر الغُربـاء الثلاثـة الذيـن يسـألون عـن عـادل ممـدوح كالنـار في الهشـيم في خِضَـم لحظـاتٍ قليلـةٍ.

قبـل أن يمُـر وقتًـا طويـلًا وجـدوا أنفسـهم أمـام رجـلًا طويـلًا يحتـل شـاربه نصـف وجهـه ويرتـدي معطفًـا ثقيـلًا، يحمـل فـوق كتفـه بندقيـة قديمـة شـكوا في أنهـا مـا زالـت تعمـل مـن الأسـاس، ظهـر بغتـةً وكأن الأرض انشـقَّت وبصقتـه أمامهـم، قـال بصـوتٍ أجـشٍ: مـاذا تريـدون؟. تأملـه مـوسى قليـلًا قبـل أن يتقـدَّم خطـوة للأمـام ليقـف في مواجهتـه بتحـدي وهـو يقـول: مـن أنـت؟ ومـا شـأنك بنـا؟. بهـدوءٍ يُحسَـد عليـه قـال الشـخص المُسـلَّح: أنـا فـرج الدهَّـان.. شـيخ غفـر هـذه القريـة، والآن.. مـن أنتـم؟. خفَّـت وطـأة حديـث رأفـت حـين عَـرِف كُنـه مُحدِثـه وهـو يقـول: « نحـن هنـا مـن أجـل فيلـم وثائقـي، هـذا هـو المُونتـير... أدرك صعوبـة الكلمـة بالنسـبة لمُسـتقبِل الحديـث فاسـتدرك قائـلًا: الـذي يقـوم بأعـمال المونتـاج، السـيد رأفـت البلتاجـي، وهـذه مُخرِجـة الفيلـم، المُخرِجـة

الشـهيرة، الأسـتاذة زينـب الراعـي، وأنـا السيناريسـت.. الـذي سـيقوم بكتابـة الفيلـم واسـمي مـوسى أبـو المـكارِم. لم يبـدو عـلى شـيخ الغفـر أن الأمـر يعنيـه مـن الأسـاس، نظـر لهـم مـن فـوق شـاربه وهـو يقـول: و..؟. شـعر مـوسى بالإحـراج قبـل أن يقـول: نحـن هنـا مـن أجـل القيـام بفيلـم وثائقـي عـن السـيد عـادِل ممـدوح، القاتِـل الشـهير الـذي... قاطعهـم شـيخ الغفـر بصـوت جهـوري وهـو يقـول: لا نعـرف أحـدًا بهـذا الاسـم، والآن.. غـادروا هـذه القريـة دون رجعـة. حاولـت زينـب أن تعـترض وهـي تقـول: ولكـن يـا سـيد... قاطعهـا شـيخ الغفـر وهـو يقـول: دون لكـن، غـادروا.. الآن... قـال رأفـت محـاولًا أن يُلطِّـف الأجـواء بلهجـة حملـت الكثـير مـن العِتـاب: أهكـذا تسـتقبلون ضيوفكـم؟ سـمعنا أنكـم أهـل كـ... لم يُمهِلـه شـيخ الغفـر الفُرصـة ليسـتكمِل حديثـه وهـو يُحـرِّك بندقيتـه سريعًـا ليوجههـا نحـو وجوههـم قائـلًا في صرامـة ملفوفـة بالغضـب: الآن. لم يجـدوا بـدًا مـن التراجـع أمـام غضبـه وفوهـة بندقيتـه التـي يتراقـص المـوت بداخلهـا، حملـوا حقائبهـم وتسـلَّحوا بخيبـة الأمـل وهـم يمشـون عائديـن إلى الطريـق مـرة أخـرى، تسـاءلت زينـب: والعمـل؟. قـال رأفـت بغضـب: هـل لديـكِ أفـكارًا مـن أجـل إقنـاع السـيد فـرج بالتحـدُّث إلينـا؟ أو بإقنـاع أي فـرد مـن أفـراد الأسرة بالتحـدُّث معنـا؟. ابتلعـت لسـانها وقـرَّرت أن تصمُـت تمامًـا، كان مـوسى يشـعُر بالغضـب، كان مُنهمِـكًا في ركل الحجـارة المُلقـاة عـلى الأرض وهـو يسُـبّها بصـوتٍ خافـتٍ

بســـــــــــــــت

سـمعوا الثلاثـة الصـوت يـأتي مـن يمينهـم، وقفـوا مكانهـم وهـم ينظـرون نحـو اليمـين، نحـو أطـلال منـزل مُتهـدِّم تحـوَّل لمكـب نفايـات قـذر، كان يقـف شـابًا يتـوارى خلـف بقايـا جـدار أبى أن يسـقُط مثـل أقرانـه وهـو يكـرِّر النـداء

أشـار لهـم أن يقتربـوا، تبادلـوا النظـرات قبـل أن يضـع مـوسى حقيبتـه أرضًـا وهـو يُشـير لرأفـت وزينـب ألا يتبعـوه وهـو يتحـرَّك نحـو الشـاب الغامِـض بخطـواتٍ بطيئـةٍ: مـن أنـت؟ ومـاذا تريـد؟

تجاهـل الفتـي أسـئلته وهـو يقـول: تسـألون عـن عـادل ممـدوح؟. هـز مـوسى رأسـه بحـماس وقـد نـسى أنـه طـرح أسـئلة تجاهلهـا الشـاب، أشـار لـه الشـاب وهـو يبـدأ في الحركـة سريعًـا قائـلًا: اتبعـوني. أشـار لهـم مـوسى وهـو يُـسرِع الخُطـى خلـف الفتـى خشـية أن يتـوه عنـه أو يبتعِـد عـن ناظريـه، حمـل رأفـت حقيبتـه وحقيبـة مـوسى وهـو يتحـرَّك بخطـوات سريعـة أشـبه بالقفـزات خلفهـما، ومـن خلفـه زينـب بخطـواتٍ أنهكهـا التعـب.

مشـوا طريقًـا طويـلًا خلـف الفتـي الـذي كان يحفـظ الطريـق عـن ظهـر قلـب وصـولًا إلى عشـة صغـيرة مـن الخشـب تقـف بوهـنٍ وسـط الـلا شيء، تحفهـا الصحـراء مـن جميـع الجهـات، أمامهـا مصطبـة صغـيرة قـذرة تجلـس فوقهـا سـيدة عجـوز تلـف رأسـها في شـالٍ قديـمٍ وترتـدي نظـارة شمسـية وتعبـث في الأرض بعصـا نحيلـة، توقَّـف الفتـى وهـو يشـير إليهـا قبـل أن يفـر هاربًـا مـن أمامهـم بعـد أن أنهـى مُهِمتـه.

وصـل رأفـت إلى مـوسى ووقـف بجـواره وهـو يسـأله بصـوتٍ هامـسٍ: مـن هـذه؟. وكأنهـا سـمعته - رغـم أن صوتـه كان خافتًـا للغايـة - فوقفـت وهـي تسـتنِد إلى العصـا التـي تحملتهـا رغـم نحافتهـا لتقـف أمامهـم، خلعـت الشـال عـن رأسـها لتظهـر رأسـها المُحطـم ووجههـا المُشـوَّه وهـي تقـول: أنـا روحيـة الشـوَّاف.. الوحيـدة التـي لا تخـشى الحديـث إليكـم. شـهقت زينـب في رعـب وهـي تتراجَـع للخلـف أمـام قسـوة المشـهد.

(9)

جلسوا على الأرض أمامها دون حراك، ما زال قلب زينب يدق بقوة بسبب التشوُّه البالِغ الذي طال رأس ووجه السيدة روحية الشوَّاف، جلست روحية على المصطبة وعادت مرة أخرى تعبث في الحصى الموجود على الأرض بطرف العصا قبل أن تقول:

« هل ترون السُخرية الموجودة في الأمر؟. لم يرد عليها أحدهم، بالطبع لا يرون السُخرية الموجودة في الأمر، هذه هي مرتهم الأولى التي يُقابلونها فيها، وكانت هي ذكية وتعرِف جيدًا أنهم لا يرون أي شيء، لكنها نجحت في جذب انتباههم لها، قالت بعد دقائق من الصمت: الشوَّاف.. اسمي روحية الشوَّاف، لكنني كفيفة لا أرى. ضحكت بسُخرية مليئة بالمرارة قبل أن تُضيف: أنا الوحيدة القادِرة على الحديث إليكم عن عادل ممدوح، لكن قبلها عليكم أن تعرفوا أن لكل شيء مُقابِل. تبادلوا النظرات في دهشة للحظات قبل أن يمُد رأفت يده في جيبه ليُخرِج محفظته، قالت بصرامة: المُقابِل ليس نقودًا يا رأفت، ضع محفظتك في جيبك. سألها بدهشة: كيف.. كيف عرفتِ؟. بالطبع كان يقصد كيف عرفت أنه أخرج محفظته على الرغم من عدم قدرتها على الرؤية، لم يكُن يسألها كيف عرفت اسمه لأنهم أخبروها بأسمائهم قبل أن يجلسوا في حضرتها.

ابتسمت وهي تقول: ربما نزع الله عني نعمة البصر، لكنه لم يحرمني نعمة البصيرة. اكتفى بها الثلاثة كإجابة على الرغم من غموضها، أعاد رأفت محفظته إلى جيبه مرة أخرى وموسى يسألها

بفضول: وما المُقابِل الذي تُريدينه؟. « الحكي. انعقد حاجباه في عدم فهم وهو يسألها: ماذا؟. ابتسمت وهي تقول: الحكي، أريد أن أحكي قصتي وأن أقص عليكم أمري، أحتاج أن أزيح الأمر عن كاهلي ليرتاح قلبي وتصفى روحي. لم ينبس أحدهم ببنت شفة، ساد الصمت فتوقَّفَت عن العبث بعصاها في العصا وهي تنظر خلفهم دون هدف مُحدَّد وتقول: لم يكُن عادل ممدوح أول قاتِل مُتسلسِل يظهر ها هنا في بلدتنا، سبقه الدرفيل، لا نعرف اسمه الحقيقي، ولا نعرف من أين أتى، ظهر فجأة وهو يحمل بين راحتي كفه موجة من القتل المُنظَّم، يقولون أنه ابن حرام، جاء إلى دنيانا بسبب علاقة آثمة بين العُمدة وخادمة في دوَّاره، ألقته أمه في القمامة ورباه الشيطان بنفسه، أمده بالقوة والقسوة حتى صار الدرفيل الذي يقتل دون تردُّد أو رحمة، ويقولون أيضًا أنه أحد رجال الأعمال المشهورين في وجه قبلي، وأنه يخلع رداء الشرف والنزاهة الذي يرتديه نهارًا، ليرتدي بدلًا منه لباس القسوة ليلًا، ويردِّدون أنه مجذوب، شاب فقد عقله بسبب خيانة زوجته له، اختلفَت الأقاويل، لكن النهاية كانت واحدة.. كان الدرفيل يقتل النساء الوحيدات، سواء كانت تعيش بمُفردها بعد وفاة أهلها، أو استقلَّت بعيدًا عن ذويها، أو حتى من كانت مثلي.. زوجها مسافر إلى دولة عربية ولم تُنجِب بعد. قاطعتها زينب وهي تقول: لماذا سموه الدرفيل يا خالة روحية؟. ابتسمت روحية حين نادتها زينب بلفظة خالة، قالت برفقٍ: بسبب كِبر حجم جسده يا بنيتي، كان ضخمًا عريض المنكبين، مُحدَّب الظهر بعد الشيء، حدبته أشبه بالزعنفة، حتى أنك لو رأيته ليلًا.. لحسبته درفيلًا يمشي على قدمين، قتل من قتل، وهاجم من هاجم، تصاعدت شُهرته، وبدأ الخوف منه ينتشِر بين الناس، عادت من هجرت بيت أهلها، وتشاركت الوحيدات البيوت ليلًا هروبًا من وحدة تجذبه كالمغناطيس، إلا أنا.. لطالما

عشقت وحدتي ورجوتها من العالم، وافقت على زوجي فقط لأنه كان كثير السفر وسيتركني وحدي أغلب الوقت، بالطبع كان قاسيًا، مثله مثل أغلب الرجال هنا، لكن قسوته كانت ثمنًا بخسًا لوحدتي. صمتت قليلًا وهي تُمسِك بقُلة كانت تنتظرها بجوار المصطبة، رشفت منها رشفة صغيرة قبل أن تستكمِل حديثها: قلَّ عدد الوحيدات، وبدأ الدرفيل يلاقي صعوبة في اصطيادهن، لكنني كُنت صيدًا سهلًا، لا أنام إلا ونافذتي مفتوحة، أعشق هواء الليل البارِد وأهيم ولعًا برؤية السماء الصافية ليلًا، ومنها دلف الدرفيل، كُنت نائمة.. تسلَّل إلى غرفتي وهو مُمسِك بسلاحه، وقف بجواري لساعاتٍ طويلةٍ وهو يتأملني أثناء نومي، لم أستيقظ ولم يمل، في وقت ما من الليل.. استيقظت وجلة، شعرت أنني مُراقَبة، فتحت عيني لأرى وجهه المشوَّه، كان يبتسِم بسُخرية، لم أشعر بالخوف مثلما شعرت يومئذٍ، حاولت أن أصرخ لكنه كان سريعًا، يعرف كيف يُسدِّد ضرباته. صمتت قليلًا وهي تستجمِع شتات نفسها، يبدو أن تلك الذكرى آلمتها، احترموا صمتها ولم يتحدَّث أيًا منهم، بعد دقائق وقالت وصوتها يتهدَّج ألمًا: كان يحمل مطرقة في يده، ٢٧ ضربة بالمطرقة فوق أم رأسي، ٢٧ ضربة دون أن يتردَّد أو يبدي أي علامة من علامات الرحمة، لم يسعني الوقت لأصرُخ، كان حظي سيئًا للدرجة التي جعلتني لم أفقد وعيي، كُنت واعية، مُنتشية بالألم، أشعر بكُل ضربة، أشعر بجُمجمتي تتهشَّم، أشعر بعيني وعصبها يتدمَّر، لكن ألمي كان عظيمًا، كان قويًا، نُقِلت إلى المُستشفى بعد أن اكتشفوا ما حدث في الصباح، لم يُصدِّق الأطباء أنني على قيد الحياة، فقدت وعيي بمُجرَّد دخولي المُستشفى وكأنني كُنت أنتظر الاطمئنان على أنني بين يدي من يهمه الأمر. أشارت نحو رأسها الذي يفتقد ربع حجمه تقريبًا ووجهها المشوَّه وهي تقول: فقدت ربع جُمجمتي تقريبًا، وعيناي الاثنتين، والعديد من التشوهات التي أحمد الله

أنني فقدت بصري قبل أن أراها، ربما لم أكن سأستطيع الحياة مع تلك الجروح والإصابات، سقطت فريسة لغيبوبة استمرَّت اثني عشر يومًا، وحين أفقت.. وجدت أنني فقدت بصري، لكن الله الغفور الرحيم منحني البصيرة، صرت أرى رؤى كثيرة، وكلها تتحقَّق، أرى الأرواح وأتتبَّع خُطاها، أعرف أنكم لا تصدقوني، لكنني سأثبت لكم.. أريد فقط شيئًا واحدًا. أنهت قصتها تمامًا قبل أن تصمت للحظات وهي تقول: إمنحوني الفرصة. سألها رأفت وهو مرفوع الحاجبين: أي فرصة. قالت وهي تنظر نحوه وكأنها تراه: فرصة الانتقام.. أريدكم أن تضمونني إليكم، وصدقوني.. الرؤي الخاصة بي ستكون أكثر من نافعة، وكي أثبت لكم هذا.. سأقص عليكم قصة عادل ممدوح.. سفاح القطط بالكامِل، وسأساعدكم على التغلُّب على روحه وإعادتها لعوالم الأرواح مرة أخرى. تبادلوا النظرات في دهشة قبل أن يقول موسى: لا ضير من وجودكِ يا خالة روحية. ابتسمت وهي تعتدِل في جلستها قبل أن تقول: حسنًا.. أنصتوا السمع، فلن أكرِّر حرفًا مما سأقول، سأقص عليكم قصة عادل ممدوح.. سفَّاح القطط وبالتفصيل.

الباب الثاني

سفّاح القطط

(10)

استيقظَ مرزوق الصغير من نومه فَرِحًا، تحرَّك في الظلام نحو فراش شقيقه التوأم الذي يُشارِكه الغُرفة وهو يهزَّه برفقٍ ولينٍ وهو يهتِف بحماس: رزق.. يا رزق.. استيقظ. فتح رزق عينيه وهو يبتسِم بكسل قبل أن يقول: كيف عُدت بهذه السُرعة. انتفخَت أوداج مرزوق الصغير وهو يقول بفخرٍ لا حدود له: لطالما كُنت أبرع منك سواء في الذهاب أو العودة

ابتسم رزق ولم يُعقِّب، نظر نحو باب غرفتهما المُغلَق قبل أن يسأل مرزوق: هل عاد؟

أنصَت مرزوق السمع قليلًا قبل أن يقول: لا أظن.. لقد كُنا أسرع منه. ضحك رزق وهو يقف بجوار شقيقه نافضًا الكسل عن جسده النحيف، تحركا سويًا نحو باب الغُرفة، وعلى الرغم من الظلام الدامِس الذي يُسيطر على كُل شيء، إلا إنهما تحركا وكأنهما يريا جيدًا، وكأن الظلام لم يكُن عائقًا يعترِض سبيل وصولهما لباب الغُرفة، وقف رزق خلف الباب وهو يُنصِت السمع قبل أن يقول إلى مرزوق بابتسامة: والدتك في المطبخ. ابتسَم مرزوق وهو يُنصِت السمع كشقيقه قبل أن يقول: هل تسمع صوت التقطيع؟ يبدو أنها تستخدِم السكين الضخم! هل تعتقِد أنه أخبرها؟. قال رزق ضاحكًا: أراهنك أنه أخبرها بكُل شيء. تبادلا النظرات وعينيهما الصغيرتين تلمع في الظلام ومرزوق يقول: هيا بنا؟. لم يجيبه رزق، فَتَح باب الغُرفة وهما يخرجان للضوء الذي يملأ البيت، على الرغم من هذا.. إلا أن

أعينهما بدت وكأنها تكيَّفت مع الإضاءة سريعًا، ركضا بخطوات صغيرة نحو المطبخ، فتيان توأمان صغيران يقطنان مع والدتهما بيت صغير في قرية فقيرة في الصعيد مشهورة بكوم التوم، والدهما يعمل سائِق شاحنة في إحدى الشركات، لذا يغيب عن البيت بضعة أيام من كُل أسبوع، لكنه يحرِص على قضاء بقية الوقت في بيته ووسط عائلته، يحبهما ويحبانه، يتوق لهما وينتظرناه بشغفٍ، كعادة التوائم في كُل مكان، ارتديا بيجامتين مُتشابهتين، تعالت ضحكاتهما وهما يتسابقان نحو المطبخ، سمعتهما والدتهما فارتعد جسدها، جذبت عباءتها بعيدًا عن صدرها وهي تتفل فيها دلالةً على إصابتها بحالة رعب مؤقتة قبل أن تبتسِم لمرأى ولديها الصغيرين يقهقهان فرحًا بعد أن أصاباها بالخوف.

صاحت بهما في مرح: لماذا استيقظتما أيها القرود الصغيرة. قال رزق في حماس وهو يحتضن فخذها: نريد أن نأكُل كبابًا. انعقد حاجبيها وهي تقول بحيرة: ومن أين لنا بالكباب يا ولد؟. احتضنها مرزوق وهو يقول: أبي.. أبي قادِم في الطريق ومعه كيس بلاستيكي به كباب وكفتة. ازداد انعقاد حاجبيها وهي تسألهما: كيف عرفتما هذا الأمر؟. تبادلا النظرات في خوفٍ وقلقٍ، وضعت السكين الذي كانت تقطِّع به طبق سلطة جانبًا وهي تجفِّف يدها في ذيل عباءتها قبل أن تمسِك بهما في حركةٍ سريعةٍ من آذانهما قبل أن يهربان من أمامها وهي تسألهما: كيف عرفتما يا آخر صبري؟. قال رزق مُتلعثمًا: رأ.. رأيـ.. رأيناه. أحكمت قبضتها على آذانهما لتؤلمهما قليلًا وهي تسألهما مرة أخرى: أين رأيتموه؟. صرخ الصغيرين في ألمٍ ومرزوق يقول مُسرِعًا: على أول الشارع، عند محل عم سلامة البقال، سيصل بعد قليل. رفعت أحد حاجبيها في إنكار وعدم تصديق قبل أن تنظُر نحو باب الشقة المُغلَق وهي تقول: لم يُغادِر أحدكما البيت. صمتت قليلًا وهي

تتركهما يستعيدا حريتهما وهي تتنهَّد في حزن مُتسائلة: لماذا تكذبان؟. كان مرزوق مُنهمِكًا في دعك أذنه محاولًا تخفيف الألم الذي يشعُر به، بينما شعر رزق بالغضب فوضع يديه في وسطه بشكل كوميدي وهو يحاوِل الاحتجاج على نعت والدتهما لهما بالكذب وهو يقول: نحن لا نكذِب.. أنتِ التي ترفض تصديقنا!. ابتسمَت في سخرية وهي تقول: ماذا أصدِّق؟ أنكما تتحولان ليلًا لزوج من القطط؟ أنكما تجوبان الشوارِع طوال الليل كأرواح حبيسة في جسد قطتين صغيرتين؟ هل هذا كلام يُصدَّق؟. قال رزق بغضب: هذه هي الحقيقة يا أمي!. تجاهلتهما وعادت لتقطيع السلطة مرة أخرى، لا تعرف ماذا سيُحضِر زوجها معه، اليوم هو اليوم الذي سيعود به من العمل بعد أسبوع قضاه على طريق السفر بمقطورته، من عاداته أنه يُحضِر معه طعامًا جاهزًا في مثل هذا اليوم، ومن عاداتها أن تصنع له طبق سلطة ضخم، اعتادت أن تفعل هذا لسببين.. أولهما أن السلطة طبق يصلُح ليزيِّن كافة الموائد، فأيًا كان الطعام الذي أحضره زوجها.. بكُل تأكيد سيحتاج طبق سلطة بجانبه، وثانيهما.. أن زوجها يعشق السلطة ويقدسها.. لا يتناول طعامه دون طبقًا من السلطة.

قبل أن تنتهي من تقطيع طبق السلطة، سَمِعَت الطرقات الخافتة التي تردَّد صداها في البيت، تركت السكين مرة أخرى وهي ترمُق الصغيرين بنظرةٍ كادت تحرقهما أحياء وهي تقول: عطلتماني يا ملاعين. جففت يدها في ذيل عباءتها مرةً أخرى وهي تهرع نحو باب الشقة بخطواتٍ سريعة، فتحت الباب وارتمت في أحضان زوجها وهو يقول بصوتٍ مليء بالإرهاق: أوحشتني يا أم أولادي. ابتسمت وهي تشعُر بالخجل وهي تنسحِب من بين ذراعيه وتبتعِد قليلًا لتسمح له برؤية ما يختفي خلف جسدها، تهلَّلت أساريره وهو يصيح فَرِحًا: القرود الصغيرة مستيقظة. ترك ما بيده فوق المنضدة الصغيرة التي تجاور

الباب وهو يركض نحوهما، سقط على ركبتيه وهو يفتح ذراعيه ليحتضنهما في حنان أبوي لا حدود له، سألهما بلينٍ: لماذا تستيقظان إلى مثل هذه الساعة المتأخرة؟. قالت زوجته من خلفه بلهجة تحمل الكثير من الاستياء: كانا نائمين، واستيقظا ليأكلا كبابًا من الذي ستأتي به. انعقد حاجبيه وهو يقول في صدمة: كيف عرفتما أنني أتيت بالكباب؟. قال رزق حذرًا: رأيناك حين وقفت بجوار محل عم سلامة البقال وأنت تلقي عليه السلام وتسأله عن صحة أطفاله. وقف الرجل مشدوهًا وهو ينظر لزوجته ويقول: بالفعل وقفت بجوار عم سلامة وسألته عن صحة أولاده لأن محمود اتصل بي وأخبرني أنهما ليسا في حالة صحية جيدة. قالت بكثيرٍ من التردُّد: ماذا تقصِد؟. نظر نحوهما قليلًا دون أن يجيبها قبل أن يتحرَّك سريعًا نحو المنضدة التي تجاور الباب، أمسك بالكيس البلاستيكي الذي كان يحمله حين دَخَل من البيت وهو يفتحه ليُخرِج منه طبقًا ملفوفًا في ورق فويل لامع، فض الورق سريعًا لتخرُج منه رائحة ذكية تنتشِر في البيت بأكمله وهو يريه لزوجته، كانت أصابِع الكُفتة وقطع الكباب تتراص بجوار بعضها البعض في تناغم، ومن تحتها بحر من البقدونس الأخضر يحتضنها بلين مُتجاهلًا قطرات الدهن التي تسيل فوقه بفعل الحرارة لتترسَّب في قاع الطبق، ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول لزوجته التي فغرت فاها وهي تُطالِع الطبق الذي يحمله بيديه: أقصِد أنهما يقولان الحقيقة تمامًا!.

(11)

المقعد غير مُريح، أم تراه اعتاد على مقعد مقطورته الوثير؟

يحسده بقية السائقين على هذا المقعد، لكنه كان ذكيًا، عَرِف أنه سيقضي أوقاتًا طويلة على هذا المقعد، فعمِد إلى تحويله لمقعد وثير يتحوَّل لفراش حين ينام ظهره للخلف، بالطبع دفع مبلغًا لا بأس به، لكنه كان سيدفع المبلغ ذاته على الأدوية والمُسكِّنات التي سيستخدمها لعلاج آلام ظهره، لكن هذا المقعد الخشبي الصغير الذي يجلس عليه كان مُتعِبًا، وقف بغتة فطالعته زوجته.. ابتسم لها في عصبية وهو يتأمَّل المكان من حوله، غرفة قذرة في بيت قديم تحوَّلت لمكتب استقبال بدائي، عدة مقاعِد صغيرة في حالة يرثى لها يجلس عليها المُنتظرون، مكتبًا قديمًا مُتهالكًا تجلس من خلفه فتاة عشرينية سمراء البشرة مُنهمِكة في قراءة إحدى مجلات الموضة القديمة، على الأرجح كانت الموديلات الموجودة على غلاف المجلة موضة في يومٍ ما من أيام الأربعينات، ابتسم وهو يتأمل السيدة العجوز التي ترتدي جلبابًا واسعًا وتجلس مُحتضِنة ابنتها الثلاثينية التي يبدو عليها التعب والإرهاق وهي تترُك رأسها يستسلِم فوق كتف والدتها، لاحظت العجوز أنه يتأملهم فابتسمت له في ضيق، انتبه لما يفعَل.. فابتسم لها وهو ينظر لزوجته، فهِمت زوجته فتحرَّكت من مكانها نحو فتاة الاستقبال وهي تتحدَّث معها بصوتٍ خافتٍ، بعد عدة جُمل مُتبادلة بين السيدتين، أخرجت زوجته عملة ورقية وهي تضعها في يد فتاة الاستقبال التي تهلَّلت أساريرها وهي تتحرَّك لتزيح ستارة قذرة جانبًا وتدخُل إلى غرفة تفوح منها رائحة البخور.

عـادت زوجتـه إلى جـواره وهـي تبتسِـم في سـعادة وفخـر، عـادت فتـاة الاسـتقبال مـرة أخـرى إليهـما وهـي تقـول بابتسـامة واسـعة: الشـيخة راويـة في انتظاركـما. وهـل كانـت الشـيخة راويـة في انتظـار الخمسـة جنيهـات التـي أخذتيهـا لتتذكَّـر أننـا بالخـارِج؟ لكنـه قطعًـا لم يجـرؤ عـلى التصريـح بالسـؤال الـذي جـال في ذهنـه، اسـتبدله بابتسـامة صفـراء وجههـا نحـو الفتـاة السـمراء وهـو يزيـح السـتارة ليدخُـل إلى غرفـة دون بـاب، جدرانهـا عاريـة، سـقفها يـكاد يتهـدَّم فـوق رأس سـاكنتها، كانـت الشـيخة راويـة تجلـس أمـام وعـاء نحـاسي ضخـم تلتمِـع فيـه أحجـار الفحـم التـي تؤججهـا النـيران ويتصاعـد منهـا دخـان كثيـف عطـر الرائحـة يحـرق العيـون ويكتـم الأنفـاس.

جلـس أمـام الشـيخة راويـة وهـو يتأملهـا، ترتـدي جلبابًـا ملوَّنًـا، حتـى لتُشـبه البدويـات الـلاتي يفترشـن الأسـواق ليبعـن الخـضر والفواكـه، يعلـو رأسـها عمامـة كبـيرة تجعلهـا أشـبه بالرجـال، أكل الزمـن في تجاعيدهـا وشرب، سـمراء الوجـه، عسـلية العينـين، ذات ابتسـامة غامضـة.

جلسـوا أمامهـا، كان يتأملهـا في جـرأة بينـما نظـرت زوجتـه لـلأرض في خـوفٍ لا مُـبرِّر لـه، دون أي مُقدمـات قالـت الشـيخة راويـة بصـوتٍ مـليءٍ بالثقـة: عيالِـك يتحوَّلـون لــ كدايـس. اتسـعت عينـا رضـا في دهشـة، كانـت مُتأكِّـدة أنهـا لم تُخـبِر أي شـخص بهـذا الأمـر، فكيـف عرِفـت روايـة أن رزق ومـرزوق يتحـولان لقطـط ليـلًا، انعقـد حاجبـا فـارس وهـو يتأمَّـل الشـيخة راويـة بشـك، نظـر لزوجتـه وهـو يهمِـس بغضـب: كيـف عَرِفـت؟. اتسـعت عينـا رضـا بهلـع وهـي تهـز رأسـها وهـي تهمـس لـه:

« لا.. لا أعــ. أعـرف. قالـت الشـيخة روايـة بصرامـة دون أن تنظـر لهـما: عيالكـما يتحـولان لــ كدايـس. هـزَّت رضـا رأسـها في خـوف وهـي تقـول: أجـل يـا شـيخة راويـة، يتحـولان لقطـط، كدايـس، أو بسـس.. أيًـا

كان الاسم. صمتت راوية قليلًا وكأنها تنتظِر أن تُنهي رضا جُملتها التي كانت قد انتهَت منذ حين، حين تأكَّدت أنها لن تضيف المزيد، تساءلت راوية: كم عُمرهما؟. تلعثمت رضا في خوف، فحاول فارس أن يدعهما، وضع يده على كتفها وهو يحاول أن يبث بها الأمان، قرَّر أن يجيب سؤال رواية بنفسه فقال: اقتربا من الأربعة أعوام. قالت راوية من فورها دون أن تُفكِّر: فات الأوان. شهقت رضا في خوفٍ وهي تتساءل بصوتٍ مُرتعِد:

« أي أوان؟. قالت راوية بغضب: كان عليكما أن تسقياهما لبن ناقة غير مغشوش قبل أن يتما الأربعين يومًا

ترقرقت عينا رضا بالدموع وهي تكاد تختنِق بعبراتها، بينما كان فارس يشعُر بالحيرة، كان يُفكِّر: ألا يوجد حل آخر؟ وقرَّر أن ينقِل حيز سؤاله من التفكير إلى الإعلان، سألها بصوتٍ عالٍ: ألا يوجد حل آخر؟. قالت وهي تنظر نحوه بغضب، الدُخان الكثيف المُتصاعد من المرجل النحاسي يزيد الأمور توتُّرًا: كان عليك أن تُفكِّر في هذا قبل الآن!. شعر بأنها تتحداه، شعر بالغضب، نظر لها شذرًا وهو يقول: وها قد فات الأوان، ولم أفكِّر في هذا، ألا يوجد حل آخر؟. شعرت بأنه يتحداها، ابتسمت بسُخرية وهي تقول:

« بإمكانك أن تتبرَّع بوزنهما ذهبًا، لكن الأمر سيُكلِفك كثيرًا، كان الأمر ليكون أرخص كثيرًا في صغرهما، لكنك من اختار التأخُّر. كانت حدته تزيد الأمر سوءً، وكان ذكيًا بما فيه الكفاية ليُدرِك هذا، تغيَّرت لهجته وذهبت حدته بعيدًا وهو يسألها بلينٍ مُصطنع: أما وقد فات أوان كُل هذا يا حضرة الشيخة راوية.. ما الذي بإمكاننا فعله الآن. رفعت كتفيها وهي تقول بلا مبالاة: لا شيء، هناك بعض النصائِح والأمور التي يجب عليكما مراعاتها حتى تنتهي هذه الحقبة فقط.

سألها سريعًا: مثل؟. تنفست الشيخة رواية بعُمق، بدا جليًا أنها بدأت تشعُر بالملل وهي تقول: اتركوهما حتى يستيقظا بمفردهما، لا تشرعا في إيقاظهما حين غُرة، نبها عليهما ألا يتناولا أي طعام بالخارج.. أعرف شخصًا مات طفلاه لأنهما أكلا طعامًا مسمومًا كانت تبغي اصطياد فأر به، نبها على جيرانكما ألا يؤذوا القطط الصغار ليلًا، خصوصًا القطط التي لا ذيول لها خوفًا من إصابة أحدهما، خصصا لهما فراشين صغيرين في غرفة بعيدة عنكما حرصًا على حيواتهما.. وحذارى.. حذارى من ضرب أي قطط ليلًا. نظرت له نظرة ذات مغذى وعينيها تلتمعان بطريقةٍ مُخيفةٍ قبل أن تقول: والآن.. هم في انتظارك. انعقد حاجبيه وهو يكاد يسألها عمن في انتظاره لولا الظل الأسود الذي تحرَّك من ركن الغرفة المُظلِم ليُعلِن عن وجوده، عَرِف فارس أنها علامة على ضرورة رحيلهما من هنا.. وسريعًا، أمسك بيد رضا زوجته وهو يجبرها على القيام، جذبها كالشاه وهو يخرج من البيت بأكمله، كان قلبه يدُق بقوة.. فَهِم أن ولديه في انتظاره.. هناك أمر ما طرأ.. وعليه أن يكون بجوارهما.

بمُجرَّد أن فتح باب شقته حتى سمع صوتهما، يبكيان بطريقةٍ قطعت نياط قلبه، عدت شيماء شقيقته نحوه وهي تقول:

« من الجيد أنك أتيت الآن.. استيقظا منذ قليل على هذه الحالة ويرفضان أن يكفا عن البُكاء. سألها بدهشة: ماذا حدث؟. مطت شفتها وهي تضع طرحةً فوق رأسها قائلةً: لا أعرف.. كانا نيام واستيقظا يبكيان ويتحدثان عن جريمة ما. شهقت رضا وهي تعدو نحو غرفتهما، بينما قال فارس دون تركيز: ربما رأيا كابوسًا. اتجهت شيماء نحو الباب وهي تقول: سأذهَب.. لقد تأخرت على أبو العيال. تمتم ببضعة كلمات دون معنى وهو يتبع زوجته إلى الغُرفة، كانت

تجلس على طرف فراش أحدهما وهي تحتضن الاثنين وتبكي لبكائهما، جلس بجوارها، مال مرزوق نحوه وهو يلقي بنفسه بين أحضان والده ويدفن رأسه في صدره، سأله والده وهو يربت على رأسه برفقٍ ولينٍ: ماذا حدث يا صغيري؟. قال الفتى من بين دموعه بصعوبة: رأينا جريمة قتل، قتل عادِل ابن العم ممدوح توأمه الأستاذ علاء. وضع فارس يده على فم صغيره وهو يقول بلهجة صارمة مليئة بالتحذير: اخرس.. أنتما لم تريا شيئًا، هل تفهمان؟

حاول رزق أن يعترض قائلًا: لكن... أتته صفعة من يد والده الضخمة لتجعله يبتلع بقية اعتراضه وهو يعود للبُكاء مرة أخرى، قال فارس: أنتما لم تريا شيئًا.. لم تسمعا شيئًا.. لم تعرفا شيئًا. نظر لهما، منهمكين في البكاء، صرخ بهما بغضب:

هل تفهمان؟. هز كلاهما رأسه دون أن يجرؤ أحدهما أن ينبس ببنت شفة، سألته رضا في خوفٍ: ماذا سنفعل؟. ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول دون أن ينظر إليها:

سننتظر.. لن نكون فعل.. سنكون رد فعل لما سيفعل عادل ممدوح. لم تفهم ما مغزى كلامه لكنها كانت تعرِف جيدًا أنه لم يكُن في حالة تسمح له بالحديث، هزَّت رأسها وهي تدعو الله أن تمر الأيام القادمة على خير..

لكنها لا تعرف أن ما سيحدث.. أبعد ما يكون عن الخير.

(12)

كانت ليلة مشؤومة، لكن أحدًا لم يرَ بأم عينه ما حَدَث فيها، لكنهم رأوا النتائِج في الصباح الباكِر..

بدأ الأمر بصرخة الحاجة نادية العمشة، يطلقون عليها هذا الاسم لأنها أضعف سُكَّان القرية نظرًا، هجرها زوجها بعد زواجها منه بأسبوعين، حاربت العالم بأكمله من أجله، تحدَّت أسرتها وهدَّدت بالانتحار، اضطر أهلها لقبول الأمر بعد أن هدَّدتهم بأن تخلع ملابسها كاملة في وسط ميدان عام، لكنه نال منها مُراده وسرق مصوغاتها وهرب بعد مرور أسبوعين، هاجرت بمُفردها لتلك القرية بعيدًا عن أهلها وعاشت وحيدة تبكي حظًا عسرًا لم تستحقَّه يومًا ولم تُرده أبدًا.

بكَت حتى ذهب نظرها بغير رجعة، أضحَت لا ترى سوى خيالات وأطياف تتحرَّك، لم تعُد تعرِف للتفاصيل هيئةً ولا للملامِح شكلًا، كانت أول من ينام ليلًا، وأول من يستيقظ صباحًا.

تخرج لتطرق باب البيت المُقابل لدارها، حيث تسكُن الست ولاء وولديها التوأمان، توقظ ولاء من نومها لتُساعدها - عن طيب خاطر - في بعض الأعمال اليومية العادية التي يعوق ضعف بصرها عن تنفيذها بسهولة.

هذه المرة كان الأمر مُختلفًا، حين اقتربَت من النوم، تجعَّدت ملامحها لدرجة أن وجهها أصبَح أشبه بالورقة المُجعَّدة في يد مؤلِّف

غير راض عما بها، شمَّت الرائحة وميَّزته فورًا، تفلت أرضًا وهي تقول: الشر برا وبعيد. كانت تعرف هذه الرائحة جيدًا، هذه رائحة الموت.. لا نقاش في هذا، اقتربت من باب الست ولاء واستعدَّت للطرق، هذه المرة لم تصطدِم أناملها بالخشب، بل اصطدمت بشيء مليءٍ بالفرو، انعقد حاجبيها وهي تتحسَّس هذا الشيء، إلى أن وصلت لمكان جرح كبيرٍ في رقبة هذا الشيء، لم تعرف كُنهه بعد، لكنه ربما كان أرنبًا، لم تتحسَّس وجهه بعد، لكن هذا الجرح كان حديثًا، والدم يُصَب منه صبًا، شعرت بالسائِل اللزج وهو ينساب من بين أصابعها، ارتعَد جسدها ولم تعُد تقدر على تمالُك أعصابها.. فصرخَت.

في قريةٍ هادئةٍ مثل تلك القرية كانت صرخة كهذه كفيلة بقلبِ الأمور رأسًا على عقِب، استيقظ الجميع بقلوبٍ وجلةٍ ترتعِد من الخوف، لم يعرف أحدهم ما حدث بعد، لكن هذه الصرخة كانت بمثابة إنذار للجميع بوجوب الاستيقاظ.. فالقرية تشهد حدثًا جلَلًا.

وكم كانوا مُحقِّين، ثلاثة عشر بابًا، لثلاثة عشر دوارًا، بداخلهم ثلاثة عشر أسرة بينهم عاملًا مُشتركًا، البيوت تزخر بالتوائم، لم يكُن هذا غريبًا في الحقيقة.. كان الغريب هو أن هناك من علَّق قطتين صغيرتين على كُل باب من أبواب هذه البيوت، تلك القطط ذيولها مقطوعة، منحور عنقها بالكامِل، ومُثبَّتة إلى أبواب البيوت بخناجِر فضية غريبة الشكل.

بكُل بيت توأمين.. ولكل بيت قطتين.

كانت صدمة عارمة سكنت قلوب الجميع، من ذا الذي نُحِتَت القسوة في قلبه وجرى العُنف في عروقه مجرى الدماء الذي قَتَل هذه القطط كُلها، وما هو الهدف من هذا؟ إلام يرنو؟

كُل هـذه الأسـئلة جابـت عقـول سُـكَّان القريـة بأكملهـم، إلا أسرة واحـدة.. كانـت مـن ضمـن الأسر التـي وجـدت القطـط مُعلقـة عـلى بابهـا، لكنهـم فهمـوا الأمـر جيـدًا.. هـذا تحذيـر، وتحذيـر قـاسي وشـديد اللهجـة..

وحدهـم فهِمـوا، ووحدهـم وقفـوا وسـط الجميـع تـكاد قلوبهـم تتوقَّـف رُعبًـا وهـم غـير قادريـن عـلى النبـس ببنـت شـفة، فَهِـم الأسـطى فـارس وزوجتـه رضـا الرسـالة التـي أراد القاتِـل إرسـالها للجميـع.

القطـط مقطوعـة الذيـول ترمـز للتوائـم الـذي يتحوَّلـون لقطـطٍ أثنـاء الليـل، والذبـح تهديـد واضـح صريـح لا يحتـاج لـشرح، والرسـالة بسـيطة.. توأمـك رآني وأنـا أقتُـل.. وسـيُقتَل.

جـذب فـارس زوجتـه مـن يدهـا بعُنـف وهـو يعـود بهـا نحـو المنـزل، دخلـوا وأغلقـوا البـاب مـن خلفهـم، قالـت رضـا بلوعـةٍ:

« مـاذا سـنفعَل؟. أشـار لهـا أن تصمُـت وهـو يجـوب الردهـة ذهابًـا وإيابًـا، كان يُفكِّـر كالمجنـون، أي تـصرُّف في الوقـت الراهِـن سيكشِـف سرَّهُـم، سـيعرف عـادل وقتهـا أنهـم الأسرة المنشـودة، حينهـا لـن ينفـع النـدم.

قالـت زوجتـه بغتـةً: لنهـرب.. لنـترك هـذه القريـة بأكملهـا ونهـرب من هنـا. نظـر لهـا شـذرًا وهـو يقـول: لا.. سـيعرف أننـا هربنـا خوفًـا، وهـذا يعنـي أن لدينـا مـا نُخفيـه، وتلـك سـتكون إشـارةً صريحـةً لتورطنـا في الأمر بطريقـةٍ أو بأخـرى. قالـت وهـي ترتعِـد خوفًـا: ألم تـر كيـف كان ينظُـر إلى الجميـع؟ كان يبحـث بعينـين يتراقـص بهـما الجنـون عـن أي شـخص تظهـر عليـه بـوادر فهـم أو خـوف. وقـف وهـو يقـول شـاردًا: ولهـذا يجـب علينـا توخـي الحـذر جيـدًا، لا نريـد كشـف سرنـا. قالـت مـرة أخـرى بطريقـةٍ

مُفاجئة: لنُخبِر الجميع. صرخ بها غضبًا: هل أنتِ حمقاء؟ يا رضا.. يا حبيبة قلبي.. إذا أخبرنا الجميع سيعرِف أننا من فَهِم، ومن فَهِم هو المطلوب.. سيهرب من القرية لقليلٍ من الوقت، وسيعود حين غرة ليحصد أرواحنا. سألته والدموع تترقرق في عينيها: وما.. وما العمل؟. قال وهو يعود للتجوُّل ذهابًا وإيابًا: ما زلت أفكِّر. انتبه فجأة لشيء ما فسألهم باهتمام: أين الأطفال؟. قالت بلهجة مليئة بالقلق: في غرفتهما.. نيام. زفر بارتياح وهو يقول: حمدًا لله. قال بعد قليل من الصمت وكثير من التفكير: وكأننا في أحد مباريات الشطرنج، كُل حركة سنقوم بها يجب أن تكون محسوبة تمامًا، أي حركة مُباغِتة دون كثير من التفكير ستُكلفنا كثيرًا، بل وغالبًا.. ستُكلفنا حيواتنا، لن نستطيع الخروج من القرية في الوقت الحالي.. ولن نستطيع أن نُبلِغ الشُرطة... قاطعته مُتسائلة: لماذا؟. قال وهو شارِد غارق في التفكير: لأنهم لا يأخذون بشهادة القطط. صمت قليلًا قبل أن يُضيف: وكذلك لن نستطيع أن نكشِف سرَّه، لأن هذا يعني.. وبالضرورة.. أن نكشف سرنا، هذا قاتِل ونحن لسنا أهل لمجابهته. سألته مرة أخرى وهي ترتجِف هلعًا: ماذا سنفعل يا فارس؟ ماذا سنفعل؟. فجأة.. فرقَع بأصابعه وهو يقول بلهجة نيوتِن حين سقطت التفاحة فوق رأسه: وجدتها. سألته بغباءٍ تُحسَد عليه: ماذا وجدت يا فارس؟. شعر بالغضب وهو يقول: الفكرة.. التصرُّف السليم.. الخطوة القادمة. تهلَّلَت أساريرها وهي تقول: حقًا؟ ماذا سنفعل؟. قال وهو يبتسِم ابتسامة لم تفهَم مغزاها: سنُحارِبه بنفس الطريقة.

(13)

نظرت له فتاة الاستقبال بشكٍ وريب لا بأس بهما قبل أن تقول وهي تلوك قطعة من اللادِن في فمها: الشيخة رواية لا تستقبِل زوار دون ميعاد. قال لها بعصبية وهو ينظر في عينيها بتحدٍ: إذًا حددي لي ميعادا!. لاكت قطعة اللادن بكثير من الغنج المُصطنَع قبل أن تقول: لا توجد مواعيد شاغِرة عند حضرة الشيخة قبل ثلاثة أشهُر. هزَّ رأسه بعصبيَّة وكأنه ينفُض عنها كلامًا لم يُعجبَه، قال لها: سأدفَع ضعف المطلوب مني. فتحَت مجلة الموضة القديمة وهي تتراجَع على مقعدها قائِلة: الأمر لا يتعلَّق بالنقود. كان يشعُر بكثيرٍ من الغضب يجري في عروقه، شعر برأسه يشتعِل ثورةً وضيقًا، صاح بها وهو يضرب المكتَب بقبضتيه صارخًا: الأمر يتعلَّق بأسرتي.. لن أرحَل من هنا قبل أن أقابلها.. الأمر مُنتهي. نظرت له من فوق مجلتها بأعين تمتلئ بالغضب وهي تقول: والأمر مُنتهي ها هنا أيضًا، ارحل يا حضرة.. ولا داعي للعنُف والصوت العالي، لا تستفِز الأسياد.. فلن تتحمَّل غضبتهم. كان قد اكتفى، مدَّ يدهُ في جانب قميصه ليجذِب قبضة الساطور الضخم المُلتصِق بجسده، شعر بسريان معدنه البارِد فوق جلده فشعر بالقوة تتدفَّق في عروقه، لم يكُن مُعتادًا على حمله، لكنه شعر بالثقة بمُجرَّد امتلاكه، كان الساطور ملكًا لعبد الله، صديقه وأحد المُشاكسين ومُحبي المعارِك، لا يتخلى عن سلاحه ولا يتحدَّث إلا بنصله، لكن عبد الله يُحبَّه ولا يرفض له طلبًا، لذا أعطاه الساطور بمُجرَّد أن طلبه

وَقَف أمام الفتاة المسكينة التي شلَّها الخوف في مكانها وهي

تنظُر للساطور المُشهَر المرفوع عاليًا بأعين تترقرق بها دموع الرعب وهي تقول: أرجوك.. أرجوك يا حضرة. قبل أن ينبس ببنت شفة شَعَر بقوة غامضة لم يقدر على مقاومتها تعتصِر أصابعه فوق مقبض الساطور، صرخ في ألم وهو يفتح يديه سريعًا ليسقُط الساطور أرضًا وهو يهتز بعُنف، تخيَّل أنه يلمَح الظل الذي رآه المرة السابِقة وهو يغيب وسط ظلام ركن قريب، شهق في رعب وهو يتراجَع للخلف.

تبدَّلَت ملامح الفتاة الخائِفة لتمتلئ بالثقة وابتسامة سُخرية واسِعة تملئ وجهها وهي تقول: هل رأيت غضب الأسياد؟. قبل أن ينطِق بكلمة سمع صوت الشيخة راوية تصيح من الغُرفة المجاورة بصوتٍ جهوري عالٍ: تعال يا فارس... شهق وهو ينظر نحو الستارة القذرة التي تفصله عن عالمها المُظلِم، تردَّد للحظات، لكن شعوره بأن رضا - حبيبة عُمره - ورزق ومرزوق - فلذتي كبده - في خطرٍ جمٍ جعله يحسم أمره سريعًا وهو يتحرَّك بقدمين هشتين نحو الغُرفة.

حرق دخان البخور عينيه فدمعتا، وأزعَج عُثَّانه رئتيه فسعل بعُنف، رآها تجلس خلف مرجلها النحاسي المليء بالفحم والبخور، كان الدخُّان المُتصاعِد منه أكثف من المرة السابقة، وعينيها كانتا تلتمعان بطريقةٍ مُخيفةٍ هذه المرة، قالت له بصوتٍ أجشٍ: ليست كُل الأوقات مُناسِبة للُقيا. لم يتحمَّل جنون عينيها فنظر أرضًا وهو يقول: لكن الأمر... قاطعته بغضب مُعترِم: كُل الأمور طارئة يا فارس. لم يستطِع أن يُجيبها، قالت بلهجة الخبير العليم: الكدايس في خطر. هز رأسه وهو ما زال لم يرفَع عينيه من الأرض، فقالت:

« اجلس... تردَّد قليلًا، فأمرته بصرامة: اجلس. أُمِر.. فأطاع، جلس مُصغرًا وهو يشعر بالضعف والضآلة في حضرتها، أمرته أن يقص عليها ما حَدَث، فانساب على لسانه وصفًا تفصيليًا دقيقًا لكُل شيء حَدَث،

طالعته قليلًا قبل أن تسأله:

« وما شأني أنا بالأمر؟. قال بيأسٍ: لا مُنقِذ لي سواكِ. قالت بثقةٍ: لم أرد سائِل يومًا.. سأساعِدك، لكن لتعلَم.. أنك ستكون مدينًا لي ما حييت. نظر لها وهو عاجِز عن شُكرها، قالت له وهي تُفكِّر: قُلت أنه قتل من القطط ما تجاوَز العشرين. تدخَّل مُصحِحًا: بل ستة وعشرين. ألقت بشيءٍ ما وسط الفخم فتأجَّجَت ناره عاليةً ورواية تقول: هل تريد أن تُطيل عذابه؟ أم أنك تُريد للأمر أن ينتهي سريعًا؟

قال مُصرِّحًا: أخشى أن يطول الأمر، فيجد من الوقت برهة يؤذي فيها أطفالي. ألقت ببضع حبات أخرى من البخور وسط الفحم المُستعِر وهي تقول: هذه عين عفريت. ابتسم وهو يشعُر بأنها تُخفِّف وطأة الحديث قليلًا وهو يقول: أعرِفها.. أراها عند العطَّار. قاطعته بصرامة وهي تقول: تلك سُميَّت تيمنًا بها، لكن هذه.. عين العفريت الحقيقية. شعر بالذُعر يتملَّك منه، رغم معرفته بأنها على الأرجح تقول هذا لتدفعه نحو الجنون، لكنه لم يستطِع ألا يخاف أمام صرامتها وقوتها، استنشَقَت الدُخَّان وهي تقول: ست وعشرون ساعة.. سيلاقي بهم من الهول ما لا قِبل له به، ينتهي حين ينتهوا.. سيعيش ليرى عذابًا من كُل حدبٍ وصوبٍ. ابتلع ريقه بصعوبة وهو يسألها: هل ما يزال هناك خطر عليهما؟. هزَّت رأسها وهي تستنشِق المزيد من الدُخَّان وكأنها تتنفسه قائلةً: لا تقلق عليهما.. اقلق على نفسك فحسب. انعقد حاجبيه وهو يسألها وعلامات عدم الفهم ترتسِم على وجهه: ماذا تقصدين؟. ابتسمت وهي تقول: أضحيت ملكي.. لقد اتفقنا، لا هروب من المكتوب ولا فرار من القدر، حين ينتهي الأمر.. لنا لقاء. هزَّ رأسه، كان سيوافِق على أي شيء مُقابل ضمان سلامة أطفاله، حتى أنه أتى إلى هنا ومعه من الجنيهات عشرة

آلاف هي تحويشة العُمر كما يقولون، كُل ما ادخر يومًا، كان على أتم الاستعداد لدفعهم - بنفسٍ راضيةٍ - لو طلبتهم من أجل أن تفعل أي شيء لحماية أطفاله.

فتحت عينيها بغتة وهي تأمره: عُد لأولادك ولا تخرج من منزلك قبل مرور ستة وعشرين ساعة. هل.. هل رأي خيال قط غاضب يتشكَّل وسط سُحب الدُخان، بدا وكأنه يصرُخ غضبًا، لا.. على الأرجح لا، ربما تخيَّل الأمر فحسب بسبب التوتُّر والجو العام المُصاحِب للموقف كله، كما أن عينيه ما زالتا تحرقانه بفعل الدُخَّان، وقف وتردَّد للحظة هل يمد يده ليُصافحها أم أن عليه أن يهرع من هنا سريعًا.

لم يُفكِّر كثيرًا، كان قد اتخذ قراره سريعًا، ترك الغُرفة وخرج، وقعت عيناه على ساطور عبد الله بمُجرَّد أن خرج، سمع صوتها تقول في لهجة آمرة: اتركه.. فقد لمسوه وأصبح ملكًا لهم. كيف عرفت فيم يُفكِّر؟

لم يمتلك من الوقت أو الشجاعة ما يكفيه ليقف في انتظار إجابة سؤاله هذا، ترك المكان بأسره وهو يكاد يركض كالمجنون، من الجيد أنها لم تطلب نقودًا، تركتها له ليستطيع تعويض عبد الله عن سلاحه.

لم يكُن يعرِف أنها صادقة، وأنه تسبَّب في ٢٦ ساعة من الجحيم لسفَّاح القطط.

(14)

الساعة ١:٠٠ صباحًا.

انتصَف الليل منذ ساعة مضت، سامحًا لليوم الجديد بالبدء، في مثل هذه الساعة من اليوم السابِق بدأ عادل ممدوح نشاطَه كسفَّاح قطط لا بأس به، في مثل هذه الساعة بالأمس كان يرتدي قفازات سوداء سميكة، يلف حول وسطه حزامًا صنعه خصيصًا لهذا اليوم، كان مليئًا بالجيوب التي استطاع حشوها بخناجِر فضية كان قد جمعها على مدار السنين الماضية كهواية سريَّة لم يعرف عنها أحد أي شيء، تذكَّر شقيقه الذي خانه مع زوجته، توأمه الذي قطع حبل أخوتهما بنصل الخيانة البارِد دونما أي شعور بالندم أو الضيق، وزوجته.. حُب عمره التي لم تستطِع التمييز بين زوجها وتوأمه! كانت هذه صدمة وضربة قاسية بالنسبة له أكثر من الخيانة!

خرج في الليل ليصطاد القطط، ينحرها ويُعلِّقها بعد قطع ذيولها على أبواب أهل القرى من أصحاب التوائم، ابتسم وهو يعتدِل في غرفة مكتبه ذات الإضاءة الخافتة وهو يتأمَّل كوب الشاي الذي يتصاعَد منه البُخار، كانت زوجته تعرِف كيف تصنَع له كوبًا من الشاي بالنعناع الآن لولا أنها تجاوز شقيقه الخائِن في مُجمِّد يرتاح في ركن المطبخ، كان قد قطع جُثتيهما إلى قطعٍ صغيرة وتركها في المُبرِّد لتتجمَّد، بهذه الطريقة لن تتحلَّل الجُثث ولن تظهر لها رائِحة، أخبر الجميع أن زوجته سافرت لأهلها في قرية مجاورة، بينما كان شقيقه انطوائيًا غير مُعتاد على الاختلاط بالجميع، لذا لم يكُن تبرير غيابه

مُشكلة كبيرة، أفاق من فيضان أفكارِه على صوت خطوات خافِتة تأتيه من صالة منزله المُظلِمة، بدأت دقات قلبه تزداد وهو يحاول أن يسترِق السمع ليتأكَّد مما سَمِع، لكنه ضوء الأباجورة المجاورة له بدأ بالارتعاد، وكأنه يشاركه خوفه من المجهول، صوت الخطوات يقترِب، والضوء يرتعِد بطريقةٍ موتِرةٍ للأعصاب، لم يحاول أن يتحرَّك من مكانه، ربما لأن الخوف كان قد شلَّه ومنعه من الحركة، وربما لأنه لم يكُن مُستعِدًا لمُواجهة القادِم من الظلام.

لحظاتٍ قليلة مرَّت وصوت الخطوات يقترِب ببطء مُخيف من غُرفة مكتبه، ربما كان لص اقتحَم المنزل، تحسَّس درج مكتبه القريب منه، خنجره الفضي المُفضَّل يستريح في هذا الدرج في انتظار أن يُخرِجه عادِل، مدَّته هذه الفكرة بالقوة والثقة بعض الشيء، توقَّف صوت الخطوات أمام باب مكتبه، انطفئ ضوء الأباجورة بشكلٍ نهائي، حاول أن يضغَط على زرها عدة مرات دون جدوى، يعرف جيدًا أنه ليس عطلًا في الكهرباء، لأنه يرى ضوء الشارع يأتيه من بين خصاص النافذة، ضرب الأباجورة بعُنف وعصبية وهو ينظر نحو الباب مُبتلعًا ريقه بصعوبةٍ بالغةٍ، شعر بيده ترتجِف جرَّاء الخوف، دفنها بين فخذيه وهو يضغط عليها بتوتُّر، عاد الضوء بغتة ليراها.. كانت تقف أمام باب مكتبه، لكنها.. لكن هناك شيئًا مُختلِفًا فيها، لم تكُن قطعة واحدة.. كانت عبارة عن مجموعة من القطع المُجمَّدة تتراص فوق بعضها البعض بصعوبةٍ، تقف أمامه كلغز من نوع البازل، لكنه غير جيد الصُنع، يعرف جيدًا هذه الأجزاء، فقد قطَّعها بنفسه، قبل أن يضعها في المُبرِّد، لكن رأسها كان مفقودًا، لم يكُن رأسها الذي يستريح فوق كتفيها المفصولين عن بعضهما البعض بشق كبير، لكنه كان رأس قط، قط شرس الملامح، فكه مفتوح وكأنه يصرخ صرخة احتضار.

حـرَّك القـط فـاه وهـو يقـول: هـل افتقدتنـي؟. لكنـه صوتهـا هـو الذي أتـاه مـن بـين شـفتي القـط، هـزَّ رأسـه وهـو يحـاول أن يفتـح الـدرج بيـدٍ مُرتعِـدة، لكـن الـدُرج لم يسـتجِب لـه، سـمع ضحكـة سـاخِرة تـتردَّد مـن بـين شـفتي رأس القـط اللعـين، تراجَـع بمقعـده للخلـف، كان يريـد الوقـوف لكـن جسـده بأكملـه كان يرتجِـف، كانـت هـذه المـرة الأولى التـي يشـعُر فيهـا بمثـل هـذا الفـزع، لم يكُـن يعـرف مـن الأسـاس أن بإمـكان المـرء الشـعور بمثـل هـذا القـدر مـن الرعـب، ارتجـف الضـوء مـرة أخـرى، نظـر إليـه للحظـة قبـل أن يعـود لينظـر إليهـا، وجدهـا أمـام مكتبـه تقـف وعـلى شـفتي القـط ترتسِـم ابتسـامة شر جمَّـدت الـدم في عروقـه.

شـهق وهـو يتراجَـع بمقعـده سريعًـا، انقلَـب للخلـف وسـقط عـلى رأسـه، حـاول أن يعتـدِل، بيديـن ترتجفـان اسـتند إلى أرض لم يشـعُر بهـا ليقـف عـلى أقـدام تطيعـه بصعوبـة، نظـر إليهـا لكنهـا لم تكُـن هنـا، اختفـت.. لم تـترُك أثـرًا وكأنهـا لم تكُـن هنـا منـذ لحظـات، تنهَّـد وهـو يشـعُر بقليـلٍ مـن الارتيـاح، قبـل أن يبتسِـم شـعر بـدفء يأتيـه مـن خلفـه، كان كفيـلًا بجعـل الشـعيرات الصغيـرة التـي تمـلأ جسـده تنتصِـب وقشـعريرة رعـب باردة تـسري في جسـده بأكملـه، سـمعها تسـأله همسًـا مـن خلفـه: هـل تبحـث عنـي؟. ألتفـت خلفـه وقـد قـارَب عـلى البُـكاء، توقَّـع أن يجدهـا أمامـه لكنهـا لم تكُـن هنـا أيضًـا، للمـرة الثانيـة يشـعُر بالـدفء مـن خلفـه، هـذه المـرة شـعر بقطـرة مـن العـرق البـارد تهبـط عـلى ظهـره ببـطء شـديدٍ، سـمعها تهمـس في أذنـه مـن خلفـه: ألهـذه الدرجـة تريـد لقـائي؟. للمـرة الثانيـة يلتفِـت خلفـه سريعًـا، وللمـرة الثانيـة أيضًـا لا يجـد لهـا أثـرًا، لم تكُـن موجـودة، هـذه المـرة لم يشـعُر بـأي شيء، لا دفء، لا همـس، لا شيء!

تنهَّـد بارتيـاح، مسـح عرقـه البـارد الـذي ملـئ وجهـه بأكملـه، وهـو

يبتسِم بسُخرية، كيف سمح لعقله أن يتلاعب فيه بهذه الطريقة؟ هذا هو المُبرِّر الوحيد، كما أنه لم ينل قسطًا كافيًا من النوم، أجل.. أجل.. هو مُتعَب ويحتاج للراحة، نظر تلفَّت حوله مرةً أخيرةً ليتأكَّد أن الغُرفة خالية وأنه بمفرده فيها، نظر أسفل المكتب ولم يجد شيئًا، عدَّل من وضع مقعده وهو يجلس عليه، أمسك بكوب شايه الذي برد قليلًا، رشف منه رشفة سريعة وهو يُمسِكه بكلتا يديه.

كانت دقات قلبه قد هدأت قليلًا، ذهبت قشعريرة جسده إلى غير رجعه، قهقه بعصبية وهو يحاول التخلُّص من الخوف التي اعتراه، لكن القدر لم يُمهله الوقت الكافي لإنهاء قهقهته.. قطعها وهو يرى نقطة ماء تهبط في كوب شاي لتعكِّر صفو سطحه.

كان هذا هو المكان الوحيد الذي لم يبحث فيه، سقف مكتبه، نظر للأعلى ببطءٍ شديدٍ ليراها تقف على السقف مقلوبة وكأنها تتحدى الجاذبية، شعرها يكاد يمسَّه دون أن يدري، ولولا نقطة الماء التي سالت من جسدها الذي بدأ يتفكَّك لما عَرِف مكانها أو شعر بوجودها.

في اللحظة التي تلاقت فيها عينيه مع عينا القط، رأي ابتسامة ساخرة ترتسِم على وجهه وهو يقول له: بخ!. وانطفئ ضوء الغرفة تمامًا ليسود الظلام..

تحرَّك في الظلام كالمجذوب، لا يحسِب لخطواته حسابًا ولا يُفكِّر في تصرف أو فعلة، يتحسَّس الظلام بيديه بحثًا عن حائط يُحدِّد عن طريقه مكانه ليستطيع أن يبدأ رحلة هروبه من هذا الظلام اللعين، سمع الهمس يتردَّد من حوله

« هـل أوحشـتَك؟. يأتيـه مـن كُل مـكان، يتلفَّـت يمنـةً ويسـارًا، دون أن يقـدِر عـلى تحديـد مصـدره، يحـاول الهـروب لكـن ممـن وإلى أيـن؟ يحـاوِل أن يفـر كالمجـذوب مـن قـدرٍ لا هـروب منـه، يتمنـى لـو أن هـذا الكابـوس ينتهـي..

« هـل أوحشـتَك؟. الصـوت يأتيـه مـن خلفـه، مـن أمامـه، مـن يمينـه، مـن يسـاره، مـن فوقـه، ومـن تحتـه، تُحـاصره وكأنهـا تـدور مـن حولـه، تتحـدَّث بعـشرات الألسـنة في آنٍ واحـدٍ، تُخاطبـه وهـي تحمـل بداخلهـا أرواح قطـط غاضبـة، تنتظِـر أن تسـنَح لهـا الفُرصـة المُناسِـبة لتهاجمـه..

« هـل أوحشـتك؟. قشـعريرة بـاردة تنتـاب جسـده، العـرق البـارد يكاد يغرقـه، رجفـة تمنعـه مـن التحـرُّك بطريقـةٍ سـليمةٍ، يحـاول أن يتحسَّـس طريقـه، لكـن الحوائـط تبتعِـد عنـه وكأنهـا تهـرب منـه، يشـعر باليـأس يغـزو قلبـه دونمـا تـردُّد، يـكاد يستسـلِم لهـا، لكنـه لم يعتـاد الاستسـلام يومًـا، ألقـى نفسـه نحـو جهـة كان مُتأكِّـدًا أن بهـا حائـط ينتظـره، عَـرِف أنـه مُحِـق حـين اصطـدم رأسـه بالحائِـط

« هـل أوحشـتك؟. لا.. لم يصطـدِم بالحائِـط، لقـد ألقـى بنفسـه بـين أحضانهـا، سـمع قرقـرة تأتيـه مـن الجحيـم، شـعر بيديهـا الباردتـين تُمسـكان بـه، تعتـصره في حضنهـا الثلجـي، تخـرج لسـانها القططـي وهـي تلعَـق جانِـب وجهـه، رائحـة كريهـة تسـيطر عـلى المـكان بـأسره، يشـعر بلعابهـا اللـزج وكأنـه يحـرق وجهـه ويـترك علامـة لـن تـزول مـن روحـه الوجِلـة، يسـمع همسـها داخـل أذنـه..

« هـل أوحشـتك؟. بيـأس بالـغٍ يبعدهـا عنـه، ينجَـح في الهـروب مـن فخهـا المُتجمِّـد، يتحسَّـس المـكان بيديـه مـرةً أخـرى، يـكاد يفقـد الأمـل بشـكلٍ نهـائي، لم تكُـن غرفـة مكتبـه يومًـا بمثـل هـذا الاتسـاع، تتحـرَّك

أصابعه كديدان جائعة تبحث عن حائط أمل يُشبعها، لكنها لا تجده..

« هل أوحشتك؟. هذه المرة وجده، لمسه، تحسَّسه.. تأكَّد أنه حائِط وأنه لم يُلقى بنفسه بين أحضانها مرة أخرى، في اللحظة التي كاد يترك بها الغرفة عاد الضوء، أنار الغرفة بأكملها، وجد نفسه وحيدًا مرة أخرى، هذه المرة لم ينسى أن يفحَص السقف، لا شيء.. المكتب فارِغ، يتنفَّس الصُعداء دون أن يتوقَّف قلبه عن النبض بقوة، حتى ليكاد يخترِق صدره، خرج من الغُرفة سريعًا وهو يفتح أزرار قميصه، يشعر بالاختناق، وكأن الهواء ينفذ، يشعر بدوارٍ عنيفٍ يكتنِف رأسه، لم يتوقَّف جسده عن الارتجاف، فك أزرار قميصه العلوية وهو يمسح صدره المليء بالشعر الذي بلَّله العرق البارد، توجَّه مُترنحًا نحو غُرفة نومه، أمسك بمقبضها وهو يفتحها، دخل إلى الغُرفة وهو يتحرَّك نحو سريره، لكنه قلبه بدأ يشعر بالخوف مرةً أخرى، دون مُبرِّرات تُذكَر..

تحسَّس الحائط المجاوِر للباب إلى أن وَجَد غايته، مفتاح إضاءة غُرفته، ضغط عليه، وكما توقَّع.. وجد

كانت تجلس على الفراش في انتظاره، ترتدي قميص نوم مفتوح يكشِف عن مفاتنها المُتجمِّدة وجسدها المُقطَّع إلى أشلاء، تجلس وسط بركة ماء بلَّلت الفراش بأكمله جراء ذوبان الثلج عن جسدها، رأس القط يرتكِز فوق رقبة زوجته، تتحسَّس جسدها أمام عينيه وكأنها تُغريه، يُخرِج القط لسانه ليلعَق شفتيه في شهوةٍ حيوانيةٍ مُقزِّزة، يسمعها تتحدَّث داخل رأسه..

« هل أوحشتك؟. يكاد يفقد وعيه، لا يتحمَّل جهازه العصبي هذا الكم من الصدمات، يرتعِد جسده وهو يراها تُعري جسدها أمامه، يكاد كتفها يسقُط وهي تشير له أن ينضَم إليها، يشعر بمعدته تنقبِض،

يريد أن يتقيأ.. لكنه لن يُجازِف بأن يرفَع عينيه عنها، فعلها من قبل في المكتب ولا ينوي أن يُكرِّرها مرةً أخرى، تراجَع للخلف وهو يراقبها تخلع قميص النوم، لا تتوقَّف عن لعق شفتيها، ولا تتوقَّف معدته عن الانقباض، سمعها من خلفه

« هل أوحشتك؟. نظر للخلف للحظة قبل أن يُدرِك ما فعلته، وقع في فخها كالغر الساذِج، نظر للأمام مرة أخرى ليرى وجه القطة يبتعِد عن وجهه ميلليمترات، صرخ القط في وجهه، سيطرت الرائحة الكريهة على المكان بأسره، أشبه بمزيج من رائحة الكبريت والنحاس، شيء يُشبه البيض الفاسِد أو اللحم المُتحلِّل، شهق وهو يتراجَع للخلف، سقط أرضًا على مؤخرته، رفع وجهه لكنه لم يجِد لها أثرًا، نظر داخِل الغُرفة وهو يبحث عنها، لا شيء.. تبخَّرت

حاول أن يقِف، شعر بيدين باردتين تُمسِكان به من تحت ابطيه، سمعها تهمس من خلفه

« هل أوحشتك؟. انتفض وهو يندفع للأمام، كالعادة لا شيء.. ركض كالمجنون، كما لم يركض في حياته من قبل، يعرف وجهته جيدًا، باب الشقة بعيدًا، وقطعًا لن تترك له سبيل الهروب، سيذهب إلى دورة المياه، وسيُغلِق على نفسه من الداخِل، لن يخرُج إلا حين يسمع آذان الفجر، فتح باب الحمَّام ودَخَل، أغلَق الباب على نفسه سريعًا، انتظر قليلًا لكن شيئًا لم يحدُث، يبدو أنه استطاع الهروب منها هذه المرة، تنهَّد وهو يتحرَّك نحو حوض الحمَّام، فتح الماء البارد وهو يغسل وجهه جيدًا، يا إلهي.. هل إنتهى هذا الكابوس بغير رجعة؟

وقف وهو يتأمَّل وجهه في المرآة، بقعة داكنة على جانِب وجهه لفتت نظره، نظر إليها بتركيز، تبدو كحرق خفيف، لقد ترك لسان

رأس القـط اللعـين أثـرًا عـلى جانِـب وجهـه، حـاول أن يغسـله مـرارًا وتكـرارًا دون جـدوى، لا يؤلمـه الحـرق، لكنـه يـترُك أثـرًا مُزعِجًـا لا يـزول عـلى جانِـب وجهـه.

أغلـق صنبـور المـاء وهـو يُمسِـك بالمنشـفة، جفَّـف وجهـه وهـو يهمـس لنفسـه: لقـد كان كابوسًـا لعينًـا. رأي السـتارة التـي تحيـط بحـوض الاسـتحمام وهـي تتحـرَّك، يـد زرقـاء اللـون ظهـرت مـن خلفهـا وهـي تجذبهـا جانبًـا، ظهـر مـن خلفهـا وجـه أخيـه المُتجمِّـد وقـد ارتسـمت عـلى وجهـه أعتـى علامـات الخـوف وهـو يقـول بصـوتٍ مُرتعِـد: أنـت أيضًـا رأيتهـا؟. لم يتحمَّـل الأمـر، سـقط مغشـيًا عليـه، اصطـدم رأسـه بـالأرض، وبعـد لحظـات بـدأت بركـة دمـاء تتكـوَّن حـول رأسـه ببـطءٍ شـديدٍ.. اتسـعت لتحيـط بجسـده بأكملـه في لحظـات قليلـةٍ..

(15)

فَتَح عينيه ببطء، يشعر بألم شديدٍ يجتاح رأسه دون توقُّف، يستريح جسده فوق شيء يتحرَّك بسُرعة، رؤيته ضبابية لا تسمَح له أن يكتشِف أين هو، يحاول لكن الضباب الأبيض يغشي أبصاره فيعميه عن الرؤية الواضِحة، الدوار لا يترك رأسه وحال سبيلها، هناك مطرقة من ألم تضرب جُمجمته من الداخِل، يغلق عينيه قليلًا وهو يشعر برأسه يستريح، يتوه في عالمٍ لا يعرف سوى اللون الأبيض، ويستفيق وهو يشعر بألم حادٍ في جانِب رأسه، يفتح عينيه.. هذه المرة يرى شخصًا يرتدي زيًا أبيض اللون ويغطي وجهه بقناعٍ طبي يُخفي ملامحه، يحاول أن يتحدَّث لكن الشخص يميل نحوه وهو يحدِّق في وجهه للحظات من خلف قناعه قبل أن يرفع يده التي تختفي داخِل قفاز طبي ويضعه أمام وجهه في إشارة بالصمت.

التزم الصمت وهو يتأمَّل المكان من حوله، أدرك سريعًا أنه في غرفة عمليات داخِل مُستشفى، اللون الأبيض يسيطر على كُل شيء من حوله، رائحة المُستشفيات الشهيرة تخترِق أنفه وتصِل لرأسه، يستفيق قليلًا.. يحاول التحرُّك لكن ستارًا أبيض اللون مُعلَّق أمامه لَفَت نظره، كان الستار مُعلقًا بحيث يفصل بين نصفه العلوي ونصفه السُفلي، طريقة تستخدمها كثير من المُستشفيات ويستخدمها العديد من الأطباء، ما الذي حَدَث؟

بدأ الهلع ينتابه، ماذا يفعلون به؟ ما الذي يحدُث هنا؟ حاول أن يصرخ لكنه لم يجد صوته، لم تكُن هذه المرة الأولى التي يحاول

الـصراخ بهـا دون جـدوى.. كيـف يمنعـوه مـن الـصراخ؟

حـاول أن يُحـرِّك يـده لكنـه كانـت مغلولـة إلى إطـار الفـراش الحديدي، لا يشـعر بنصفـه السُـفلي، لا يـراه.. غـير مُتأكِّـد مـن وجـوده أصـلًا، يحـاول أن يُحـرِّر نفسـه لكنـه لا يسـتطيع، يهاجمـه الصـداع مـرة أخـرى، صـداع حـاد لدرجـة أنـه لم يقـدر عـلى فتـح عينيـه مـن شـدة الألم، تعلَّـم الـدرس بالطريقـة الصعبـة، تـرك رأسـه يسـتريح فـوق الفـراش دون أن يجـرؤ عـلى الحركـة، ولدهشـته.. وجـد الألم يتسـلَّل بعيـدًا.

بعـد بضـع دقائـق أتـاه الطبيـب المُقنَّـع، حـاول أن يتحـدَّث لكنـه لم يجـد صوتـه للمـرة المليـون، حـاول أن يشـير بيديـه لكنهـما كانتـا مغلولتـان إلى الفـراش المعـدني، عـلى مـا يبـدو أن الطبيـب فَهِـم أنـه يحـاول التواصـل معـه، خلـع قناعـه بيـده.. لكـن عـادل شـهق مـن الخـوف، نظـر في عينـي الخنزيـر الـذي ظهـر وجهـه مـن خلـف القنـاع وهـو يبتسِـم بسُـخرية، اقتربَـت مُمرِضـة منـه وخلعـت قناعهـا بدورهـا، كانـت عظـاءة خـضراء اللـون ينعكـس الضـوء عـلى حراشـفها، اقتربـوا منـه واحـدًا تلـو الآخـر، حصـان، قـرد، ماعـز، زوج مـن الخـراف، وثـلاث طيـور مُختلِفـة الأنـواع..

سـمع صوتًـا يهتـف مـن بعيـد: إتركـوه.. فهـو ملـك لي... بـدأوا بالابتعـاد، اصطفـوا عـلى الجانبـين تاركـين ممـر يسـمح لأحدهـم بالمـرور، اقـترب منـه وهـو يخلـع قناعـه.. كـما توقَّـع عـادِل، كان قطًـا لعينًـا، حـاول أن يُهاجمـه لكـن عـادِل حـاول أن يقـاوم، حـرَّك جسـده بقـوة، لكنـه لم يقـدِر عـلى تحريـر يديـه، في خضـم محاولاتـه للفـرار مـن بـين أيديهـم صـدم رأسـه بطـرف السريـر المعـدني، شـعر بوعيـه ينسـحِب، هـذه المـرة لم يقـاوم.. كان مُرحبًـا باللـون الأسـود الـذي سـيطر عـلى كُل شيء طالمـا كان هـذا هـو مهربـه مـن هـذا الكابـوس.

***

استيقظ هذه المرة وهو يشهق بعُنف، كان في حمَّام منزله، يرقُد وسط بركة دماء لزجة، تحسَّس رأسه.. آلمته حين لمس الجرح، حاول الوقوف، قاوم الدوار الذي اكتنف رأسه، استند إلى الحائط وهو يُمسِك بمنشفة جافة ويضعها فوق رأسه، تأوه بألم لكنه كان يعرف أهمية ما يفعل في هذه اللحظات..

قبل أن يخرُج من الحمَّام تذكَّر شقيقه الذي ظهر من خلف ستارة حوض الاستحمام، تحرَّك نحوه ببطء، وإن كان الضوء قد كشف له عدم وجود أي شيء أو أي شخص خلفها، لكن هذا لم يمنع رجفة قوية من التحكُّم في يده وهو يمدَّها ببطءٍ نحو الستارة، جذبها بقوة لتكشف عن حوض استحمام فارغ وحائط نظيف.

تنهَّد وهو يتحرَّك نحو باب الحمَّام، ما زال جرح رأسه يؤلمه، فتح الباب ببطء وهو يخرُج، تأمل شقته يمنةً ويسارًا، لا شيء غريب.. تذكَّر الكابوس الذي رآه أثناء إغمائه، ارتعد مرة أخيرة وهو يحمد الله على أنه كان مُجرَّد كابوس، كاد يدلف إلى غُرفة نومه لكنه تذكَّر شيئًا هامًا، شيئًا يجب أن يفعله أولًا ليطمأن قلبه قليلًا، تحرَّك نحو غرفة بعينها، فتح بابها ببطء، تردَّد في دخولها للحظات قبل أن يحسم أمره، كان هذا شرًا لابُد منه، ضغط زر الإضاءة وانتظر للحظات حتى أضاء المصباح الغرفة بأكملها.

غرفة فارغة تمامًا، عارية إلا من جدران أربع تحاصرها من جميع الاتجاهات، في ركنها البعيد قبع مُجمّد يهدُر في خفوت دلالةً على أنه ما زال يعمل، ابتلَع ريقه بصعوبة وهو يتحرَّك نحوه، أمسك بمقبضه وهو يبسمل ويحوقِل قبل أن يفتحه ببطء، هاجمته الرائحة فورًا، تأفَّف وملامحه تنقبِض، قاوم شعورًا بالتقيؤ اجتاحه وهو ينظر داخِل المُجمّد، عجبًا.. كُل شيء على ما يُرام.

أغلق المُجمّد وخرج من الغرفة بأسرها بعد أن أغلق بابها، خرج متوجهًا نحو غرفة نومه، دخلها وأغلق الباب وهو يُلقي بجسده المُتعَب على الفراش، كانت عينيه مُغلقتان، فلم يراها وهي تقف خلف الباب وتقترِب منه ببطء، ملامحها مُخيفة.. عينيها برتقالية اللون وكأنها تعكس ألسنة لهب من الجحيم، شعرها الرمادي يتطاير من حول رأسها بجنون، فستانها الأبيض القذر يمتلئ بالرقع والثقوب، أسنانها صفراء مسوَّسة، لسانها أسود اللون يظهر وهي تلعق به شفتيها، بالتأكيد لم يسمع صوت خطوات أقدامها.. ولن يسمعها أبدًا لأنها كانت تطفو فوق سطح الأرض وكأنها تطير..

وقفت أمامه وهي تفتح فمها وتصرخ صرخة ارتجَّت لها أركان المنزل بأكمله!

فتح عينيه في فزع، تأملها دون أن يعتدِل على الفراش، ظهر الخوف جليًا في عينيه، كان الفزع يسكُن قلبه ليزيد دقاته حتى ليكاد يقف خوفًا، ابتلع ريقه بصعوبة وهو يعتدِل فوق فراشه، تُشبه زوجته الراحِلة لكنها ليست هي، عينيها التي تستعر بهما النيران تلتمِع في شرٍ وحقدٍ لا حدود لهما، تصرخ صرخات تزلزل البيت وتهد سلامه النفسي، تدكَّه دكًا فوق أم رأسه.

تراجع فوق الفراش سريعًا للخلف، لم يتوقَّف إلا حين اصطدم بالحائِط، لعن الحوائط جميعًا بصوتٍ عالٍ وهو لا يستطيع أن يشيح بنظره بعيدًا عنها، اقتربت منه، بدا وكأنها تخترِق الفراش، اقتربت منه، شعر بالبرودة تسيطر على كُل شيء، انخفضَت درجة حرارة الغُرفة فجأة، بدأ جسده بالارتعاد.. لم يعرف هل يرتعِد خوفًا أم تراه يرتعِد جرَّاء انخفاض درجة الحرارة بهذا الشكل المُفاجئ.

سألته فجأة بصوتٍ جحيمي صدئ: لماذا؟

تلعثَم باحثًا عن إجابة سؤال يعرف إجابته جيدًا، لكنه يعرف جيدًا كذلك أن إجابته لن تقنعها، حاول أن يصيغ إجابته بأفضل طريقة مُمكِنة قائلًا بصوتٍ يرتعِد: لأنكِ خائِنة. لم يتوقَّع رد فعلها أبدًا، رفعت يديها عاليًا وهي تصرخ بغضب قائلة: لم أخنك يومًا.. لقد خُدِعت. شعر بموجات عنيفة لم يقدر على مقاومتها، ألصقته بالحائط رغمًا عنه، كان الأمر أكبر من قدرته على المواجهة، قالت وهي تشير نحوه بيدها: لكنها.. إجابة.. خاطئة. شعر بيد ثلجية تُمسِك بقلبه وتعتصره بين أصابعها، جحظت عينيه وهو يحاول أن ينطِق، لكن الألم قاسٍ والبرد قارسٍ، حاول جاهدًا، تركته فشهق في يأس وكأنه يعود للحياة مرة أخرى، كان يتنفس بصعوبة وهو يُمسِك بصدره بقوة، عيناه جاحظتان لأنه لم يتوقَّع أن تتركه ليحيا دقيقة أخرى، سألته مرة أخرى وجحيم عينيها يلتمِع في غضب: لماذا؟. تردَّد مرة أخرى، أشارت نحوه بيدها، شعر بيدها الشبحية الثلجية وهي تُمسِك بعنقه وترفعه عاليًا، كان يطير في الهواء مُلتصِقًا بالحائِط، حاول أن يقاوم، حاول أن يركل الهواء بقدميه لكن دون جدوى، كاد يلفظ أنفاسه الأخيرة، أغلق عينيه وهو يحاول التنفُّس، كان الأمر أشبه بالمُستحيل، ركل الهواء بقدميه مرة أخرى في يأس قبل أن يستسلِم للأمر الواقِع، قبل أن تتركه فجأة ليسقط أرضًا بجوار الفراش، سقط فوق ذراعه فتأوه بصوتٍ مكتومٍ قبل أن يسعل بعُنفٍ وهو يتحسَّس عنقه.

اقتربت منه، شعر بالبرودة تجتاح أوصاله، سمعها تصرُخ بغضبٍ عارمٍ: لماذا؟. كان قد تعلَّم الدرس جيدًا، الكذب لا يُفيد، تبحث عن الصدق، فليعطيها إياه، سعل مرة أخرى وهو يقول: عرِفت أنك كُنتِ

في علاقة معه قبل زواجكِ مني. قاطعته وهي تشير بيدها، شعر وكأن قدمٍ عملاقة ركلته، طار جسده في الهواء كالدمية الخرقاء وهو يصطدِم بالحائِط المُقابِل، سعل مرة أخرى ورأي قطرات الدم تخرج من بين شفتيه، قال مُستدركًا موقفه: علاقة حُب، لكنها علاقة.. وأنا رجل لا أقبَل بهذا. أشارت بيدها مرة أخرى، طار في الهواء عاليًا وهو يصطدِم بالسقف، قبل أن يهوي من علٍ ليتكوَّم بالقُرب منها، عَرِف أن لكُل كلمة ثمن، قال: كان يحُبك منذ الصِغر، وكُنتِ تحبينه، كُنتِ سره الوحيد الذي أخفاه عن نصفه الآخر، الذي خبأه عن توأمه، وحافَظ على السر حتى حين رآني أعجب بكِ وأطلب يدك من والدكِ، عرفت بالصُدفة البحتة حين طلب مني أن أدخُل شقته أثناء وجوده بالخارِج ورأيت دفتر مذكراته القديم على مكتبه، كُنت أعرفه جيدًا لطالما منعني من قراءته، لكن هذه.. هذه كانت فرصة مواتية، ولا يُضيع الفرصة إلا كُل أحمق، وأنا أبعد ما يكون عن الحمق، قرأتها وعرفت كُل شيء. شعر بسائِل لزج ينساب من ركن فمه، مسح فمه بظهر يده وهو ينظر إليها ليرى الدماء التي لوَّثتها، أكمَل حديثه وقد بدأ يشعر بالغضب مرة أخرى: كان يقول في مذكراته أنكِ ملاك، أنكِ تجعلينه يعيش أجمل أيام عمره، تذكَّرت المشاكِل التي جعلتني أغرق فيها، المشاجرات اليومية التي نخوضها دون راحة، الحُزن والقرف الذي أعيشه معكِ كُل يوم، وتعجبت.. لماذا عاش معكِ أسعد أيام حياته وأعيش أنا معكِ أسوأ أيام حياتي؟. سعل مرة أخرى وهو يلاحظ أن كمية الدماء زادت، قال سريعًا: كانت الإجابة واضحة.. كُنتِ وما زلتِ تُحبينه، تزوجتني فقط لأنني أشبهه، لم تحبينني يومًا، كُنت بديلًا عنه.. نسخة مُقلَّدة عن حُب عمرك، وقرَّرت أن أضع حدًا للحُزن الذي صبغتِ حياتي به، وضعت له مثير جنسي في مياه الشُرب، وانتظرت إلى أن عاد، بطبيعة الحال يشرب المرء حين يطأ داره،

خصوصًا في الأيام شديدة الحرارة، استدعيته للمنزل.. ونزلت.. تركتما بمفردكما، كُنت أعرف أن المُثير الجنسي سيجعله يُخالِف كُل الأعراف.. وكُنت أنتظر أن يختلي بكِ، لكنه كان مُحترمًا.. لم يجدني في الدار فهبط سريعًا. ضحك بجنون وهو يستكمِل قصته: لكن هذا لم يمنعني من تنفيذ الجزء الثاني من خطتي، قتلتكما.. منحتكما فرصة للالتقاء مرة أخرى.. لكن في الجحيم. صرخت في غضب، شعر بجدران المنزل تكاد تنخلِع من مكانها، أشارت إليه بيدها اليُمنى، شعر بنفسه يطير ليلتصِق بالحائِط مرة أخرى ويدها الشبحية الباردة تُمسِك بعُنقه، تحدَّثت بصوتٍ مليءٍ بالغضب متسائلة: لماذا؟. كان يعرف جيدًا أن في القصة ضلع ناقص، هو وحده من يعرفه، ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول بصوتٍ مليءٍ بالخزي والعار: عرفت بعد ذلك أنني أحمق! عرفت أنكِ لم تحبينه يومًا سوى لأنه نسخة مني، لم تقترِبي منه إلا حين امتلئ قلبك باليأس من اقترابكِ مني، كان هو البديل.. أنني كُنت دومًا النسخة الأصلية وكان هو دومًا النسخة المُقلَّدة، ربما عاش معكِ أسعد أيام حياته، لكنكِ عشتي معك أسعد أيام حياتكِ. رفعته عاليًا وهي تُحكِم قبضتها على رقبته، قال وهو يتنفَّس بصعوبة: لم أكُن قد قرأت مذكراته بالكامِل، تسرَّعت واتخذت قراري وقتلتكما، لكنني بعد أن انتهيت منه، قرَّرت أن أقرأ بقيتها، وعرفت حينئذٍ كم مرة حاول الاقتراب منكِ ومنعته احترامًا لي! علمت كم مرة حاول أن يتحدَّث معكِ وأوقفته عند حده احترامًا لي! عرفت كم كُنتِ تحبينني وتحترمينني.. عرفت كم كُنتِ تتَّقين الله عرفت آنذاك أنني أتعس خلق الله الموجودين على سطح الأرض.. كم كُنت مُخطئ. جحظت عينيه ألمًا واللون الأزرق يتسلَّل إلى وجهه جرَّاء قلة الأكسجين الذي يصل لدمّه، لم يعُد يقدِر على المقاومة، سمعها تقول بغضبٍ ممزوج بالألم: أنت أحمق. أشارت بيدها اليُسرى فشعر بيدها الباردة تُمسِك

بقلبـه، اعتصرتـه بـين أصابعهـا الشـبحية.. لم يقـدر عـلى فعـل أي شيء..
أغلـق عينيـه مُستسـلمًا للظـلام للمـرة الأخـيرة..

استسلَم بعد أن أدرك كم كان غبيًا!

الباب الثالث

بوابات الجحيم

(16)

صمتت روحية بعد أن انتهت من قص كُل ما تعرف عن عادِل ممدوح، سفَّاح القطط الذي لا يعرفه الكثيرون، وربما كان هذا من حُسن حظهم، تنفَّس رأفت بعُمقٍ وهو يقول بصوتٍ خافتٍ: الموضوع أكبر مما كُنا نتخيَّل. قال موسى وهو ما يزال شاردًا يتفكَّر في حديثها: يا إلهي.. فيم ورَّطنا أنفسنا؟. سألت زينب بصوتٍ يرتجِف من شدة الخوف: هل.. هل بإمكاننا التراجُع عن الأمر وتركه للمُختصين؟. قال موسى بسُخرية تشوبها الكثير من العصبية: أجل.. لنُبلِغ الشُرطة ليجعلوا قسم مُطاردة الأرواح يُحقِّق في الأمر. تنحنحت روحية وهي تُعيد لف شالها على وجهها لتُخفي تفاصيله المُخيفة وهي تقول: لا تكونوا حفنة من الحمقى، أنتم لم تختاروا الأمر ولم توَّرطوا أنفسكم فيه، بل هو من اختاركم. سألها رأفت بقليلٍ من الانزعاج: ماذا تقصدين؟. قالت وهي تنظر نحوه وكأنها تراه: كُل الأمور تختار أصحابها.. نحن مُغفلين.. نظن أن الكون يسير تحت سيطرتنا وبأمرتنا، لكننا مُجرَّد ترس صغير لا يكاد يُرى بالعين المُجرَّدة. قال موسى بسُخريته المُعتادة: كلام عميق من سيدة ريفية بسيطة، ما الأمر يا ست روحية؟. ابتسمت وهي تقول: مثلك مثل غيرك، تقيسون الأمور بقدرتكم على فهمها فحسب، لا ترون سوى قشرتها، ربما كُنت سيدة ريفية بسيطة.. ربما فقدت بصري.. لكنني امتلكت البصيرة، البصيرة التي أمدَّتني بخبراتٍ وتجارب أكبر من قدرة أيكم على التحمُّل. شعروا بالخجل جميعًا، خصوصًا موسى الذي قلَّل من شأنها بطريقةٍ لا تستحقها، تمتم باعتذار خافتٍ وهو يشيح بنظره بعيدًا، سألتهم زينب

وهي ما تزال ترتجِف كالورقة في مهب الريح: والآن.. ماذا سنفعل؟. « لا أعرف. « لا أعلم. « لنعود للقاهرة فورًا. كانت الإجابتين الأولى والثانية من رأفت وموسى على التوالي، بينما كانت الثالثة من روحية، وقفت وهي تنظر نحو الفراغ قائلة: ومن هناك.. أعرف ماذا سنفعل!. شعر موسى وزينب بالحماس يتملَّك منهما، وافقاها على الفور، بينما كان رأفت دائمًا هو العقل المُدبِّر للأمور، لذا قال بعد قليلٍ من التفكير: حسنًا، بفرض عودتنا إلى القاهرة، لكل منّا منزل، أين ستُقيمين؟ بفرض أن الأمر استمرّ بضعة أيام. قالت في حدة: سأنام في أي مكان أستطيع النوم فيه، حتى لو أرضًا أمام أحد المساجِد، المُهِم الآن.. أن نعود للقاهرة قبل أن يصل لرزق ومرزوق. قالت زينب فجأة: هل يعيشان في القاهرة؟. « عندما قُتِل عادل ممدوح، لم يتحمَّل الأسطى فارس الاستمرار في المعيشة هنا، فانتقل بذويه إلى القاهرة هربًا من شبح القطط، وسعيًا خلف لُقمة العيش، حيث أن فرص حصوله على عمل أفضل في القاهرة أفضل من فرصته أثناء إقامته في حفرة الفقر اللعينة تلك. قال موسى فجأة: هل ما زالت أسرتك تملك الشقة الموجودة في أول عباس؟. فكَّر رأفت للحظات قبل أن يقول: لا، باعها أبي منذ حين، لكنني أعرف سمسارًا جيدًا في تلك المنطقة، بإمكانه أن يدبِّر لنا شقة معقولة تصلح كسُكنى للست روحية على أن أدفع أنا إيجارها. ابتسمت روحية وهي تقول: وهو كذلِك. صمتت قليلًا قبل أن تُضيف: هلا بدأنا رحلتنا.. قبل فوات الأوان؟. وكأنها بحديثها دبَّت الحماس والأمل في أوصالهم، حملوا حقائبهم واستعدوا للرحيل بينما دخلَت روحية لمنزلها قبل أن تعود وهي تحمل حقيبة قديمة مُمزَّقة، لكنها كانت كافية لحمل احتياجاتها الأساسية فحسب، تحرك رأفت ومن خلفه موسى الذي حَمَل حقائبه هو وزينب، التي أمسكت بيد روحية وهي تُساعدها على المشي بسهولة.

تنهَّد رأفت وهو يُدرِك أن أمامهم اثني عشر ساعة من السفر المتواصل وصولًا إلى القاهرة مرة أخرى، بينما انهمكت زينب في حديثٍ يبدو هامًا مع السيدة روحية، ولم يلحَظ أحدهما النظرة الغريبة التي عَلَت وجه موسى للحظات قبل أن تختفي مرةً أخرى!

***

أجرى رأفت بعض المُكالمات الهاتفية في الطريق، ونَجَح فيما كان يبتغي، هاتف أحد الأصدقاء ليتكفَّل بالذهاب لأحد السماسرة الشهيرين في المنطقة، ولازمه إلى أن وجد شقة صغيرة تُناسِب احتياجات ومُتطلِّبات السيدة روحية، دفع ما يلزم على أن يرده له رأفت حين يصل للقاهرة، وسيكون في انتظارهم في محطة القطار بسيارته ليتولى إيصالهم إلى الشقة المنشودة.

كانت شقة صغيرة، مكوَّنة من غرفة وصالة، دورة مياهها كانت على الطراز القديم، تلك التي يُطلِق عليها أهل المُدن بلدي»، بينما لم تحتوي بين جنباتها على أي أجهزة كهربائية، وعدها رأفت بأن يأتي لها بتلفاز صغير يُسلِّيها لكنها رفضت، قالت بصرامة: لا وقت للتسلية. كان حديثها مُقتضَب، تستخدم الحد الأدنى من الكلمات لتُعبِّر عن نفسها، لا تتورَّط في أحاديثٍ جانبيةٍ تُضيع بها وقتها ووقتهم، كانوا مُتعبين للغاية، سافروا لأكثر من ٢٤ ساعة مُقسَّمة على يومين، بلا أي راحة تُذكَر، سوى قليلٍ من النوم في قطار يهتز وكأنه يكاد يتهاوى من فوق قضبانه، تركوها في شقتها، تثاءب موسى وهو يقول: سنأتي لكِ في الصباح الباكِر كي نذهَب لزيارة رزق ومرزوق. رفعت حاجبيها في دهشة وهي تقول: لا وقت للراحة، عادل يسبقنا بخطوة، يجب أن نتحرَّك قبل فوات الأوان. قالت زينب وهي تشعُر بالكثير من التوتُّر والعصبية جرَّاء الأحداث المُتلاحِقة التي مروا بها خلال

الساعات القليلة الماضية: لكننا نحتاج للراحة. قالت روحية وهي شاردة في الفراغ: الأرواح لا ترتاح.. يجب أن نتحرَّك. قال موسى: لكننا لا نعرِف عنوان رزق ومرزوق.. لنستريح قليلًا، وفي الصباح سنسأل عنهما ونصل إليهما. زفرت في ضيق وهي تقول: أشعر بها يا صغار، بوابة من بوابات الجحيم فُتِحَت، ويجب أن تُغلَق، الأرواح لا تنام.. لا تكل أو تمل.. ولا تُضيع الوقت، علينا أن نتحرَّك قبل أن تتفاقم الأمور وتتطوَّر للأسوأ. صمت رأفت قليلًا وهو يعض شفته السُفلى قبل أن يقول وهو ينظر نحو صديقيه: أنا آسف. هزَّت زينب رأسها، كانت تعرِف جيدًا ما هو على وشك أن ينطِق به، لكنه تجاهل رفضها وأكمل حديثه على أي حال:

« لكن الست روحية مُحقَّة.. يجب أن نتحرَّك، سيأتي وقت الراحة بعد أن... صمت قليلًا وهو يتذكَّر ما نطقت به، قرَّر أن يستعير بعض كلماتها ليُزيِّن بها حديثه، تابع: بعد أن نُغلِق بوابات الجحيم، لكن الآن.. هناك أرواح مُعلَّقة في رقابنا جميعًا، سيموتون وسنتحمَّل جميعًا ذنب إزهاقها. قالت روحية وهي تنظر إليه فجأة وكأنها تراه: أحسنت يا رأفت. زفر موسى بيأس وهو يقول: حسنًا. شهقت زينب وهي تُدرِك أنها خسرَت للتو الشخص الوحيد الذي كان يُسانِدها في قرار الحصول على قسطٍ كافٍ من الراحة أولًا قبل البدء في مُغامرةٍ جديدةٍ، قالت وهي تقف على مشارف جرف من بكاء: لكن.. موسى... أشار لها بيده وهو مُنكِّس الرأس قائلًا: هُما مُحقّان. عقدت يديها في غضبٍ كالأطفال، وحاجبيها مُنعقدين، قال رأفت: شيئًا أخيرًا.. كيف سنصل لمنزل رزق ومرزوق؟. سعلت روحية فنظر لها الجميع، قالَت: قُلت لكم من قبل أنني فقدت البصر، لكنني لم أفقد البصيرة، بإمكاني أن أشعر بوجود الأرواح وأن أرى مسارها، أستطيع أن أصل لهما بكُل سهولة. صمتت قليلًا قبل أن تقول: هل بإمكانكم أن

تثقـوا بي؟. قـال مـوسى: وهـل نملُـك خيـارًا آخـرًا؟. هـزَّت رأسـها في إشـارة بالنفـي، فقـال: إذا لمـا أننـا لا نملـك أي خيـارات أخـرى.. فنحـن نثـق بـكِ. ابتسـمت ابتسـامة صغـيرة لم تـدُم سـوى للحظـات قبـل أن تقـول: إذا.. عـلى بركـة اللـه نبـدأ.

(17)

وقفوا أمام البناية يزاحمون بعضهم البعض، يقف حول البناية ما يُقارِب العشرة أشخاص، بعضهم يتحدَّث في الهاتف وهو ينقل ما يحدث أمامهم لشخصٍ آخرٍ وعلى وجوههم ابتسامة بلهاء وكأنه يُراقِب أحد العروض الحصرية في السيرك، بينما آخرين انهمكوا في تصوير الأمر بكاميرات هواتفهم، نظر رأفت من حوله بدهشةٍ قبل أن ينظر إلى البناية مرة أخرى.

الصرخات عالية، تشُق الصمت شقًّا، أصوات الصراخ عالية مؤلِمة تجعل القلوب ترتجِف هلعًا، وعلى الرغم من أنهم على بُعدٍ كافٍ من البناية إلا أن الصرخات هزَّت سلام قلوبهم وجعلت القلق يسكن أرواحهم، يقف الناس في فضول يُراقبون الأمر ويحرصون على نقل تفاصيله لآخرين وتسجيل صرخات في مجموعة من الفيديوهات وملفات الصوت ستقبع في ذاكرات هواتفهم إلى حين قريبٍ، حتى يرفعها بعضهم على شبكات التواصل الاجتماعية مصحوبة ببضع كلمات من تلك التي تُحرِّك القلوب في محاولة لاستعطاف جموع المُتابعين من أجل حفنة اعجابات وتعليقات.

تلفَّت موسى حوله بعصبية وهو يسأل أقرب الناس له: هل اتصل أحدكم بالشُرطة؟. نظر له الرجل وهو يبتسِم ببلاهة قائلًا: لا أعرف... قبل أن يعود لرفع هاتفه المحمول عاليًا وينهمِك في تسجيل الحَدَث مرة أخرى، بحث بعينيه عن رأفت الذي جذبه الزحام بعيدًا، سأله بصوتٍ عالٍ: والآن! ماذا؟. أشار له بيده رأفت أن يتبعه، وبحث

بعينيه عن زينب ليجدها تقف بعيدًا بعض الشيء وهي تُمسِك بيد الست روحية بحرصٍ، أشار لها أن تتبعه بدورها، وأن تأتي بروحية في يدها.

وقفوا جميعًا أمام بوابة البناية المعدنية، تبادلوا النظرات، كُل منهم يبحث عن بريق يأس أو إشارة خوف تسنح له بالتراجع عن موقفه، وكل منهم يخشى أن يفعل ذلك كيلا يتهمه الآخرين بالجُبن والخوف، حسموا أمرهم في النهاية.. تقدمهُم موسى، مد يده المُرتعِدة نحو البوابة بنيَّة دفعها، في اللحظة الأخيرة سمع رأفت يقول: توقَّف. تسمَّرَت يده في الهواء وهو ينظر من فوق كتفه لرأفت الذي انحني ليُمسِك بقطعة خشب كانت مُلقاة على الأرض بإهمال وهو يعطيها لموسى آمره: ادفع بها البوابة.. لا تمسها بيدك. تردَّد موسى للحظات قبل أن يسأل ببلاهة: لماذا؟. قال موسى وهو ينظر للأعلى نحو البناية التي يأتي منها صوت الصراخ: لا نعلم سبب هذا الصراخ حتى الآن، ربما كانت نارًا موقدة أو كهرباء، والبوابة معدنية.. لا نريد أن نُجازِف أو نهمِل أية تفاصيل. كان هذا ديدن رأفت، كثير التفكير والتدبُّر في كُل شيء حوله، لولا تحذيره لفتح موسى الباب دون تردُّد، دفع موسى البوابة بالقطعة الخشبية وهو يدلف منها، كادت تنغلق من خلفه، وقف خلفها وهو يدفع بابها ليسمَح لزملائه بالدخول واحدًا تلو الآخر.

ترك البوابة تنغلق من خلفهم بغير اكتراث، تقدمهم رأفت هذه المرة، كانت القطط السوداء تملأ السلم من الناحيتين سامحة للقادمين بالمرور عبر ممر جحيمي ضيِّق تكاد قلوبهم تتوقَّف فيه هلعًا، تموء القطط بشراسة وكأنها تُحذِّرهُم مما هُم على وشك مُلاقاته إن استمروا في رحلتهم، لكن فريقنا كان يعرف جيدًا سبب قدومه وبكُل تأكيد لن

تردعهم بعض القطط الصغيرة - على الرغم من الخوف الذي دبَّ في أفئدتهم - عن مُهمتهم، صرخت بهم روحية ليعلو صوتها فوق مواء القطط: الدور الثاني.. قاربنا على الوصول. وكأن كلماتها دبَّت بهم حماسًا غير طبيعيًا، أسرعوا بالركض على درجات السلم وصولًا للدور الأول، تخطوه دون أي إضاعة للوقت صاعدين للطابق الثاني، عرفوا أنهم وصلوا لوجهتهم لأن القطط في هذا الطابِق كانت أكثر شراسةً من سابقتها.

نظر رأفت من خلفه للباقين وهو يقول: على من يُريد التراجُع الآن أن يتراجَع، فبمُجرَّد دخولنا من هذا الباب.. لا مجال للرجعة. لم يتراجع أيهم، بسمل رأفت وهو يدفع الباب الخشبي بقدمه، داخِل الشقة كانت الأمور مُختلِفة، وكأن قطط العالم كُلها تجمَّعَت في غرفة واحدة فقط، بينما باقي الشقة على خير ما يُرام، عكس السلم الذي وقفَت به وكأنها تمنع أي شجاع مقدام من عبور الطريق نحوه.

كانت الغرفة تحتل الجهة اليُسرى من الشقة، يتصاعد موائهم من بابها المفتوح وكأنها ممسوسة من شيطانٍ رجيمٍ، اقتربوا جميعًا من باب الغُرفة، أمام أعينهم وقف عادل ممدوح، يطفو فوق الأرض دون أن يمسها، بشرته شاحِبة، حتى لتكاد عظامه تظهر من تحت جلده، هناك بضع قطع مُمزَّقة من جسده، تاركة كدمات ظاهرة للعيان، ترتعِد أطراف أصابعه في حركة عصبية وقد أزرقَّت، يبدو أن البرد ترك فيه أثرًا لن ينمحي بسهولة، يتطاير شعره حول رأسه في فوضى عارمة، يوليهم ظهره وهو مُنهمِك في الإشارة بيديه بطريقةٍ غريبةٍ وهو ينظر نحو رجل مسكين يرقد أرضًا وهو يصرخ في فزع، كان المسكين مُثبَّت أرضًا بفعل قوى غير مرئية، يرقد وسط ثُعبان أسود ضخم، قبيح الشكل مُنفرَه، يدور حوله في دائرة وكأنه يطارد

ذيلـه دون كلـلٍ أو ملـلٍ، قالـت روحيـة بهمـسٍ خافـتٍ: هـذا رزق. ابتلـع رأفـت ريقـه بصعوبـة وهـو يسـألها بصـوتٍ مُرتعِـدٍ:

« وأيـن مـرزوق؟. أشـارت بيدهـا للأعـلى في بـطء، تبعتهـا الأعـين التـي يتراقـص داخلهـا الخـوف للسـقف، حيـث كان يرقـد فوقـه رجـل آخـر يُشـبِه المسـكين المُسـجى أرضًـا ومـن حولـه ثعبـان آخـر وكأنهـما يتحديـا الجاذبيـة سـويًا، كان الرجلـين نسـخة طبـق الأصـل مـن بعضهـما البعـض في دلالـة لكونهـما تـوأم مُتماثِـل، رزق مُثبَّـت بالأسـفل ومـرزوق مُثبَّـت بالأعـلى، ومـن حـول كل منهـما ثعبـان أسـود قبيـح، بينـما يقـف عـادِل بينهـما وهـو يتحكَّـم في الثعابـين بإشـاراتٍ عصبيـةٍ بيديـه.

فجـأة.. توقَّـف عـن الحركـة تمامًـا وهـو يلتفـت للخلـف ببـطء، التـف عنقـه مائـة وثمانـون درجـة في وضـع غـير طبيعـي، كان وجهـه الآن عـلى نفـس مسـتوى ظهـره، ابتسـم وهو يتأملهـم في شرٍ غريبٍ، ابتسـامة واسـعة كانـت سـببًا في ظهـور أسـنانه الصفـراء العفِنـة، دار جسـده حـول نفسـه ليقـف في مواجهتهـم الآن، يتوسَّـط صـدره حفـرة ضخمـة تـكاد أطرافهـا تتعفَّـن، دون أن ينطـق ببنـت شـفة حـرَّك يديـه سريعًـا لتتحـرَّك عـشرات القطـط عـبر الحوائـط وتقـف في تكويـن غريـب لتُغلِـق سـبيلهم الوحيـد في الهـروب الآن، ابتلعـوا ريقهـم جميعًـا ببـطء وقـد أدركـوا مـا فَعَـل.. الآن هـم أسراه داخِـل هـذه الغُرفـة ولا سـبيل للهـروب!

***

فرِّق تسُد.

كانــت هــذه هــي السياســة التــي قــرَّرت روح عــادل ممــدوح أن تسـتخدمها لتعبـث بهـم جميعًـا، القطـط كانـت تزحـف لتمـر مـن بـين

الأقدام، وبطبيعة الحال بدأ الأصدقاء في تفاديها بقفزاتٍ سريعةٍ دون أن يدركوا ماذا يحاول عادِل أن يفعل بهم، وإحقاقًا للحق.. كان ذكيًا وكانوا خائفين.

لم ينتبهوا لخدعته إلا حين وجدوا أنفسهم في أركان الغرفة الأربعة، يسكن كُل منهم ركن بعيد عن الآخرين، القطط السوداء الشرسة تُشكِّل حدودًا تفصل كل منهم عن الآخرين، حاولوا مقاومتها لكنها كانت أشرس مما تخيَّلوا، لدرجة أن موسى فقد أعصابهم وهشَّم جمجمة إحداهن بكعب حذائه، وعلى الرغم من أنها تلفُظ أنفاسها الأخيرة إلا أنها استمرَّت في محاولة إيذائه، بهذه الطريقة سيكون بإمكانه أن يتخلَّص من رزق ومرزوق أولًا، ثم من هؤلاء بعد ذلك..

تركهم يحاولون الهروب من مخالب وأنياب القطط وعاد ليصُب جام تركيزه على التوأم، بإشاراتٍ حادة منه كانِت الثعابين تقترِب منهما لتضيق الخِناق حتى لكادت تعتصرهما، لولا سمع الجميع صرخة غضب تأتيهم من أحد أركان الغُرفة، كانت الصرخة كافية لتُشتِّت انتباه عادل للحظات، كان موسى قد خلع ملابسه ومزقها، ربطها على يديه وهو يحمي بها وجهه وهو يصرخ راكضًا وسط القطط التي كانت تحاول النيل منه نحو عادل الذي اتسعت ابتسامته الساخرة وهو يشير بيده نحو موسى، وقف الأخير فجأة وكأن هناك سدًا خفيًا يمنعه من التقدُّم، برزت عروقه وهو يحاول الاستنجاد بالآخرين لكنه لم يعُد قادرًا على الحديث، أشار عادل بيده بلا مبالاة، طار جسد موسى ليلتصِق بالحائط، أشار عادل بيده في إشارة تُشبه النصف دائرة، فانقلب موسى رأسًا على عقِب، تركه بهذه الحال وعاد مرة أخرى للتوأم، سمع صوت رأفت يقول بهدوء: لماذا تفعل هذا؟. توقف كُل شيء تمامًا، حتى ليُهيأ للمرء أن القطط ذاتها

توقفت عن الهواء تمامًا في انتظار الإجابة، قال عادلٍ بصوتٍ أجشٍ صدئ قادم من الجحيم: الانتقام. قبل أن يعود لما كان يفعل بادره رأفت بالسؤال مرة أخرى: ممّن؟. ويبدو أن السؤال لم يُعجِب عادل لأن شراسة القطط زادت حتى كادت تلتهم رأفت حيًا، تراجع حذرًا قبل أن يشير عادل بيده ليطير رأفت في الهواء، اصطدم بموسى المُعلَّق على الحائط بقوة قبل أن يهبط كلاهما أرضًا، تأوه موسى ألمًا قبل أن يعتدِل رأفت وهو يُمسِك بيده وهو يقول: ممّن؟. لم يُجبه عادل، استمرّ في تحريك يديه سريعًا، ضيَّقت الثعابين النطاق حول التوأم مرة أخرى، قال رأفت سريعًا وهو يستنِد بظهره إلى الحائِط: لم يكُن ذنبهما. أشار عادل بيديه نحوهما بغضب، طار موسى يمينًا ورأفت يسارًا قبل أن تتوقَّف أجسادهما في الهواء ومن ثم تعود لتطير عكس الاتجاه، تلاقيا في المُنتصف، ارتطمت أجسادهما ببعضهما البعض في قوة، تلاقت رؤوسهما في اصطدامٍ عنيفٍ، جرح غائر فوق حاجب عين موسى اليُسرى بدأ بالنزيف، غطَّت الدماء وجهه، بينما بدأ أنف رأفت في النزيف، شعر بألمٍ هائلٍ لدرجة أنه لم يعد قادرًا على فتح عينيه، سقطا أرضًا مرة أخرى، أسرعت القطط الغاضبة مرة أخرى لتحاصرهما، بينما سقط كلاهما أرضًا وهما يتألمان بضعفٍ شديدٍ.

صرخت روحية فجأة بصوتٍ مليء بالغضب: كفى!. التفت الجميع إليها وتعلَّقت بها كافة العيون، تحدثت بصوتٍ رخيمٍ مليء بالثقة، وكأنها لا تخشاه ولا تخاف قططه الشرسة: لماذا تبحث عن الانتقام؟ وممَّن؟ رأوك حين كانا طفلين صغيرين، والآن هما رجلان كبيران ولم يفصحا عن سرَّك، حافظا على سرِّك ولم ينطقا به لمخلوق، لماذا تنتقم منهما؟ أم ترى الأمر يتعلَّق بشيء آخر؟. اختفت ابتسامته للحظة قبل أن يستعيد توازنه النفسي ويعود للتظاهُر بالسُّخرية مرة أخرى، لكن الجميع لاحظ أن كلماتها مسَّت شيئًا ما بداخله، قالت زينب: هل

هـي زوجتـك؟. امتـلأت عينـاه بالحُـزن، هـدأت شراسـة القطـط قليـلًا، لكـن شـعوره بالغضـب كان كاسـحًا، حـاول رأفـت أن يوقـف نزيـف أنفـه الغزيـر لكـن دون جـدوى، أمـا مـوسى فوقـف وهـو ينشـج كالثـور، انطلـق نحـو عـادل مـرة أخـرى بسُرعـة، ابتسـم عـادل للحظـات وهـو يختفـي مـن مكانـه فجـأة ليعـبر مـوسى المـكان عـدوًا كالثـور الهائـج قبـل أن يعـود للظهـور مـرة أخـرى في مكانـه، توقَّـف مـوسى بغضـب وهـو يُـدرِك مـا حَـدَث، تـردَّد قليـلًا قبـل أن يعيـد الكَـرَّة، لكـن عـادل هـذه المـرة لم يتفـاداه، لم يتحـرَّك.. انتظـر اللحظـة المُناسِـبة ليشـير بيـده أمـام مـوسى الـذي بـدا وكأنـه اصطـدم بحائـط خفـي، ارتـدّ عنـه للخلـف وهـو يُمسِـك برأسـه بـألمٍ شـديدٍ، صاحـت بـه روحيـة: أنـت لسـت نـدًا لنـا، ارحَـل بالحُسـنى وإلا... قطعـت كلماتهـا بعـد أن طالـت أحـد القطـط شـالها، تسـلقته مُسرعـة وهـي تحـاول خمـش وجههـا بشراسـة، لكـن كلماتهـا جعلـت فكـرة مـا تسـيطر عـلى تفكـير رأفـت، بالطبـع هـو ليـس نـدًا لهـم، والآن.. يقـع الأمـر عـلى عاتقـه، بـدأ في تذكُّـر مـا قصَّتـه عليهـم روحيـة، كانـت القصـة بأكملهـا تعـدو في رأسـه والوقـت يطاردهـا، يعـرف جيـدًا أن لـكُل ثانيـة ثمـن في مثـل تلـك المواقِـف.

بـدأ يتذكَّـر الجـزء الخـاص بهجـوم الـروح عـلى عـادل، يعـرف قطعًـا أن هـذا الجُـزء عرفتـه روحيـة بفضـل بصيرتهـا لكـن أحـدًا لم يـراه، بحـث عـن الإجابـة في أدق التفاصيـل إلى أن وجدهـا، لمعـت عينـه وهـو يتلفَّـت مـن حولـه، يتجاهَـل صرخـات التـوأم الـذي اقتربـت منهـما الثعابـين وبـدأت في اعتصارهـما، تلفَّـت وهـو يتأمـل جـدران الغُرفـة إلى أن وجـد ضالتـه، جهـاز تكييـف ينتحـي أحـد الأركان في هـدوء مُتجاهـلًا الجحيـم المُسـتعِر مـن حولـه، عـرف جيـدًا أن لهـذا التكييـف جهـاز تحكُّـم عـن بُعـد، تأمَّـل الغُرفة مـن حولـه، أغلـب قطـع الأثـاث تحتلهـا القطـط الغاضبـة وتتخذهـا سـكنًا ومقامًـا، لكـن المـكان الموجـود في جهـاز التحكُّـم في التكييـف يجـب أن

تتوفَّر به عدة شروط، قريب من الفراش.. سهل الاستخدام.. وجدها.. الكومود الموجود في ركن الغرفة بالقُرب من زينب، لكن كيف سيصل إليها وسط هذا الجحيم؟ لا يستطيع أن يصرخ بها لأن عادل سيدرك ما يحاول أن يفعل، عليه أن يجد طريقة ما!

فكّر.. فكّر.. فكّر..

حسنًا.. لا يوجد سوى حل واحِد، عليه أن يحفِّز موسى للهجوم على عادل من أجل أن يصب تركيزه على ردع هجومه بينما يستغل رأفت الفرصة ليركض نحو الكومود وسط القطط قبل أن تُدرِك ما يريد فعله، وبالفعل أشار لموسى بضع إشارات فهمها الأخير جيدًا، ورغم شعوره بالتعب وعضلاته التي تأن ألمًا إلا أنه استمرّ بالهجوم على عادل الذي استمرّ بدوره في ردع الهجمات المُتتالية بينما شق رأفت طريقه ببسالة وسط القطط الغاضبة التي ما انفكَّت تعضه وتخمشه في وحشية وهو يتجه نحو زينب، صرخت زينب في خوف حين اقترب منها وهي ترى القطط تتعلَّق في ملابسه في محاولةٍ لردعه، نظر عادل نحوه وفهِم أن في الأمر خُدعة رغم أنه لم يفهمها كاملة، من حُسن حظ رأفت أنه وصل للكومود ووجد ضالته بداخل أول أدراجه، فتح الجهاز.. سمع صوته المُميَّز وهو يفتح.. قلَّل درجة الحرارة لأقل شيء مُمكِن قبل أن يطير من مكانه ليصطدم بالحائط القريب منه وهو يسمع صراخ عادل يملأ المكان.

على الرغم من درجة حرارة الغرفة المرتفعة بفعل الزحام، إلا أن عادل كان يقف أمام تيار الهواء البارد المُندفِع من بين ريشات المُكيِّف، ازداد غضبه.. وقلّت حركته، بدأ يتحرَّك بتصويرٍ بطيءٍ، امتلأت عيناه بالفزع حين فهِم الأمر، كان رأفت ذكيًا.. أدرك أن نقطة ضعفه هي الطريقة التي مات بها، وعادل مات من شدة البرودة حين

انخفضت درجات الحرارة في الغُرفة وقتما واجه روح زوجته الراحلة.

فجأة.. وأمام أعين الجميع بدأ جزء من الفراغ يتحوَّل لشيء يُشبِه كُرة مُفرَّغة بداخلها ما يُشبه شرارات زرقاء تُشبه الكهرباء، من خلفها تظهر ومضات من جحيم لا يرغب أيهم في رؤيته مرة أخرى طوال حيواتهم، بدأت روح عادِل تنجذِب داخِل هذه الكرة، شهقت زينب وهي تصرخ: ما هذا؟. قالت روحية بثبات وهي تستعيد شالها بعد أن ركلت إحدى القطط التي كانت تحاول عض أنفها: هذه بوابة من بوابات الجحيم. بدأت روح عادل تنجذِب بداخلها، لكن الكرة تحوَّلت لما يُشبه الثقب الأسود، بدأت بجذب كُل الموجودات من حولها بقوة بداخلها، صرخت زينب بفزع وهي تبتعِد لتقف خلف الكُرة في محاولة ساذِجة للهروب من قوة الجذب القوية تلك، قالت روحية وهي تتحرَّك ببطء وثبات: ستُغلق تلقائيًا حين تعود الروح إلى مكانها. كانت روح عادل قد شارفت على الرحيل، يصرخ كأنه يحترق حيًا، كان موسى تعيس الحظ أقربهم للكرة، لم يستطع مقاومة قوة الجذب على الرغم من قوته، رآه رأفت فأدرك خطورة الأمر، وقرَّر أن يجازف بكُل شيء، خلع حزامه سريعًا وأحكم ربطه في أحد العواميد الخشبية الموجودة ضمن الدولاب، أمسك بالحزام وهو يحاول الوصول لموسى، أمسك بيده بصعوبةٍ بالغةٍ وهو يجذبه، لكن رأفت لم يكُن قويًا كموسى، وجد صعوبة بالغة في مقاومة الجذب.

كان الأمر خطيرًا، كاد موسى ينسحِب تمامًا داخل الكرة، لم يعد سوى كفه فقط خارجها، بينما عاد عادل للداخل واختفت صرخاته تمامًا، صرخ رأفت وهو يستدعي كُل ذرة قوة في عضلاته، جذب موسى خارجًا في سُرعة، سقط أرضًا وهو يُراقب الشرارات الكهربائية تفرقع بقوة قبل أن تختفي الكرة نهائيًا، نظر لرزق ومرزوق الساقطين أرضًا

بإعياء، لكن كلاهما كان على قيد الحياة، ابتسم له رزق بضعف وهو يشكره بضعفٍ، عاد بأنظاره نحو موسى وهو يسأله بصعوبة: هل أنت بخير؟. مسح موسى الدماء عن وجهه وهو يقول: هناك شيئين فقط أريد إخباركم بهما.. أولًا: لن تصدقوا أبدًا ماذا رأيت بالداخِل، لكن الأهم.. ربما كانت هذه البوابة قد أغلقت.. لكن أخرى فُتِحت.. رأيتها بأم عيني. نظروا لبعضهم البعض في قلقٍ، قبل أن تقول روحية: عملنا لم ينتهي.. لقد بدأت متاعبنا للتو.

(تمَّت بحمد الله)

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007